

الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين



تأليف

الدكتور الدراجي زروخي

دار صبحي للطباعة والنشر غارداية. الجزائر

الطبعة الأولى 2015

الطبعة الأولى

2015

الإيداع القانوني رقم: 6010 - 2015

ردمك: 0-74-421-9931-979 ISBN:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
متليلي . غارداية

تليفاكس: 00.213.29824747

الجوال: 0661476160 | 0772868874

E-mail: sobhiprint@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولايسمح بإعادة
نشر هذا الكتاب أوجزاء منه أو حفظه ونسخه
في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع
الكتاب أوجزاء منه.

ولا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون
الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف.



دار صبحي للطباعة والنشر

الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين

تأليف
الدكتور الدراجي زروخي

إعداد للطباعة والتصميم الفني
حسين صبحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) سورة الرعد: الآية 11

الاهداء :

أهدي كتابي هذا إلى روح ابو القاسم سعدالله

الطاهرة

رحمه الله رحمة واسعة و أسكنه فسيح الجنان

مقدمة:

يعتبر مجال التربية والتعليم أهم المجالات المساهمة في تطوير ورفي الدولة والدخول في صف الحضارة متوقف على قوة المنظومة التربوية في الدولة ومدى اهتمام الساسة بهذا الأمر، لهذا حضني هذا المجال باهتمام كبير وواسع من طرف المختصين والفلاسفة، و شهدت الجزائر ظهور جمعية العلماء المسلمين في الفترة الاستعمارية كمدرسة مهتمة بالفلسفة التربوية وتوظيفها لإحياء حركة الوعي وبعث الهوية الجزائرية، واهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعملية التربية والتعليم، وهذا الكتاب يعتبر محطة ونقطة توقف نتأمل من خلالها لإعادة قراءة الفلسفة التربوية عند جمعية العلماء المسلمين، لأنها تعتبر نقطة تحول بالنسبة إلى تاريخ التعليم في الجزائر وعليه سنحاول في هذا الكتاب التطرق إلى حقيقة نظرة الجمعية للتربية والتعليم، وأردت من خلال هذا الكتاب أن أفق على اشكالية هامة مفادها: هل النظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين يتضمن ابعادا فلسفية عصرية؟ وهل يمكن تحيين هذه الفلسفة التربوية؟

وللإجابة عن هذا الإشكال وجدتني مضطرا للتعرف على الطرق التربوية المشهورة في الفلسفة والتي طبقتها الدولة الجزائرية في مدارسها بعد الاستقلال متمثلة في طريقة التدريس بالأهداف وطريقة التدريس بالمقاربة بالكفاءات وبعد انجازي لهذا الكتاب تولد في ذهني اشكالات أخرى منها: هل نحن

مضطرون لاستيراد مناهج تربوية حرفية من الفلسفة الغربية ؟ وهل المناهج التي أسسها الجزائريون وفي مقدمتها جمعية العلماء المسلمين غير قابلة للتجديد و الممارسة في عصرنا هذا؟ إلى متى يبقى العقل الجزائري عقيم و عاجز عن إبداع طرق تربوية تتماشى مع خصوصيته دون أن تتجاهل التفتح على الثقافات الأخرى؟ هذه الاشكاليات وأخرى حاولت أن أجيب عنها معتمدا على دراسات جزائرية وأخرى عربية وأحيانا غربية حتى يتصف الكتاب بالموضوعية في الحكم على المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين، مع أنني ركزت على شخصية عبد الحميد ابن باديس باعتباره المؤسس الفعلي للنظام التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذا وأتمنى أن يكون هذا الكتاب رصيد ثقافي يلج منه الباحثون والمهتمون بفلسفة التربية إلى عمق النظام التربوي عند جمعية كان لها الفضل في تحرير الجزائريين من الجمود العقلي الذي عهده الطرق الصوفية وبعض المذاهب السلفية الجامدة قبل تحريرهم من قبضة الاستعمار الفرنسي. وأعتذر للقارئ عن كل تأويل قد أخطأت فيه وعن كل فكرة أكون قد قزمتها أو تجاهلتها لسبب أو لآخر، وأرجو أن يكون هذا الكتاب في مستوى تطلع العقول الفلسفية.

الدراجي زروخي جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

أولاً: ميلاد الجمعية و أهدافها

1/ الدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

إن اللبنة الأولى لتأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" كانت سنة 1913 م، وذلك عندما كان الإمام ابن باديس مقيماً بالمدينة المنورة مع العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي، وكانا يقضيان أغلب وقتهما في البحث عن الوضع المتردي للجزائر، والتفكير في آليات النهوض بالمجتمع الجزائري وتحريره من الجهل الذي عصف به من جراء الاستعمار. و هذا ما بينه البشر الإبراهيمي مؤكداً على أن تلك الليالي من عام 1913 هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين والتي برزت عام 1931 م.

بعد عشر سنوات من رجوع ابن باديس من الحجاز عام 1913 بدأ تفكيره يتجه إلى توسيع الخطة الإصلاحية التي شرع بتنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم، واستنهاض همم العلماء، و تأكد لديه أن معركة الدفاع عن الجزائر وعن مقوماتها لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد أو جماعة محدودة العدد و بسلاح واحد، لذلك أخذ من سنة 1924 يتطلع إلى الدخول في مرحلة جديدة تتكامل فيها وسائل العمل النضالي ويوجه فيها جهد المخلصين من أبناء هذا الوطن للتصدي لإفشال سياسة الاستعمار والقيام بواجب خدمة الوطن والدين و اللغة ، وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية، والسعي إلى تحقيق يقظة فكرية، وبعث شعور قومي

و إسلامي ووعي سياسي وديني ، يدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام. وكان من الطبيعي أن يتطلع ابن باديس إلى استكمال الأدوات التي تحتاج إليها الحركة الإصلاحية، وتأسيس الهيئات التي تساعد في ذلك ، وتعينه على أداء المهمة الثقيلة، فباشر بعقد اللقاءات مع الشيخ "مُحمَّد البشير الإبراهيمي" منذ 1920، تارة في سطيف، وأخرى في قسنطينة، التي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجة هذا الوضع، وبعد سلسلة من اللقاءات الممهدة فكر الشيخ عبد الحميد في أن يخطو خطوة عملية تكون تمهيدا مباشر للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية التي ظلت فكرة لم تجد طريقها للواقعية، وما يذكر في هذا الصدد قول الشيخ البشير الإبراهيمي: "زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس - وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي - زيارة مستعجلة في سنة 1924 م، فيما أذكر. أخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة وهو أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية... تجتمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير، وتكون صلة تعارف بينهم، ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء... وفي تلك الجلسة عهد إليّ الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعت في ليلة وقرأته عليه في صباحها، فاغتنط به أيما اغتنباط... ولما وصل إلى قسنطينة وعرض الفكرة على الجماعة الذين يجب تكوين المجلس منهم أيدوا الفكرة وقرروا القانون بعد تعديل

قليل. ثم حدثت حوادث عطلت المشروع وأخبرني الأستاذ ابن باديس بذلك فلم أستغرب لعلمي أن استعدادنا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد"¹.

وهكذا بدأت الفكرة تنمو وتختمر في أذهان الذين وصلت إليهم، ومن الأمور التي هيأت الجو الفكري لهذه الجمعية هو أن ابن باديس بادر بإنشاء الصحف التي تنشر الأفكار الإصلاحية والمبادئ التي تقوم عليها هذه الأفكار حيث دعا ابن باديس في مختلف الصحف إلى ضرورة اتحاد العلماء وتجمعهم والاتفاق على خطة عمل لإصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية وحتى الإعلامية ، فهو يشير هنا إلى ضرورة إنشاء جمعية من العلماء.

2/ أول اجتماع لرواد الإصلاح:

بعد اللقاءات المتكررة التي كانت تتم بين ابن باديس والبشير الإبراهيمي تارة في سطيف و تارة أخرى في قسنطينة، والتي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجة هذا الوضع، فكر الشيخ عبد الحميد في أن يخطو خطوة عملية تكون تمهيدا مباشرا للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية. فتوالت الجهود الممهدة لإنشاء هذه الهيئة، ويذكر الشيخ خير الدين في مذكراته أنه في عام 1928 م دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس جمع الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة

¹ - نقلا عن الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر، دت ، ص52

يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، وكان ممن لبى الدعوة من يمكن تسميتهم برواد الإصلاح أمثال : البشير الإبراهيمي، ومبارك المليلي، والعربي التبسي، ومُحمَّد السعيد ، ومُحمَّد خير الدين، واجتمعوا برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس بمكتبه . وقد سطر في هذا الاجتماع برنامج يهدف إلى النهوض بالجمعية المزمع إنشاؤها، وكان ابن باديس أراد أن يسبق الأحداث، فحدد محاور النشاط الإصلاحية، الذي تضطلع به الجمعية التي نادى إلى إنشائها.

وفي خلال الفترة الممتدة بين سنة 1926 م وسنة 1930 م برز «نادي الترقى» وأصبح ذا ثقل ثقافي وتأثير جدي فكان ملتقى النخبة المفكرة سواء من كان منهم مقيماً بالعاصمة أو من كان وافداً عليها من الخارج. وكانت تلقى فيه المحاضرات وتقام فيه الحفلات، وكان عبد الحميد كلما جاء إلى الجزائر يحاضر فيها أو يجتمع بالشباب الناهض من طلبة العلم والمفكرين فكان النادي بذرة صالحة للنهضة الجزائرية. ولقد تكونت لجنة تحضيرية فيه لتبنيق عنها الجمعية وكان كاتب اللجنة الشيخ أحمد توفيق المدني ورئيسها السيد عمر إسماعيل.

3/ تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الاحتفال بمضي قرن على احتلال الجزائر، فكان ذلك ردا عمليا على المحتفلين الذين كانت أصواتهم تردد

أن لجزائر فرنسية و أن الهوية الإسلامية دفنت مع هذا القرن من الزمن، وكان شعار العلماء المصلحين "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، وقد ظهر هذا الشعار أول ما ظهر مكتوباً على كتاب الجزائر للشيخ أحمد توفيق، ثم تناولته الألسنة و الأقلام ولقن لطلبة العلم وذلك يوم الثلاثاء 17 من شهر ذي الحجة عام 1349 هـ الموافق ل الخامس من شهر ماي 1931 في (ناديا لترقي) بالعاصمة إثر دعوة وجهت إلى كل عالم من علماء الإسلام في الجزائر، من طرف هيئة مؤسسة مؤلفة من أشخاص حياديين ينتمون إلى نادي الترقى غير معروفين بالتطرف، لا يثير ذكهم حساسية أو شكوكا لدى الحكومة ولا عند الطرقيين. وأعلنوا أن الجمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع و لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها.

لجى الدعوة وحضر الاجتماع التأسيسي أكثر من سبعين عالما، ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية : (مالكيين و اباضيين، مصلحين وطرقيين موظفين وغير موظفين) كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن .

والجدير بالذكر أن ابن باديس لم يحضر الاجتماع التأسيسي للجمعية من البداية، وكان وراء ذلك هدف يوضحه الشيخ خير الدين أحد المؤسسين الذي حضر الجلسات العامة والخاصة لتأسيس الجمعية يقول : "كنت أنا والشيخ مبارك الميلي في مكتب ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ أحد المصلحين محمد عباسة الأخضرى، وطلب إليه أن يقوم بالدعوة إلى تأسيس (جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين) في العاصمة، وكلفه أن يختار ثلة من (جماعة نادي الترقى) الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، أو مخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية (في نادي الترقى بالعاصمة) حتى يتم الاجتماع في هدوء وسلام وتتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس. ويقول الشيخ خير الدين : "وأسر إلينا ابن باديس أنه سوف لن يلبي دعوة الاجتماع ولا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعاءه ثانية بصفة رسمية، لحضور الاجتماع العام فيكون بذلك مدعوا لا داعيا و بذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية وأصحاب الزوايا ومن يتخرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس"¹.

وبعد الاجتماع العام الذي انطلق على الساعة الثامنة صادق الجميع بعد التشاور على مشروع القانون الأساسي للجمعية، وفي اليوم الموالي - يوم الأربعاء - على الساعة الثانية بعد الزوال عقد اجتماع بقصد انتخاب الهيئة الإدارية، فاقترحت عليها جماعة فوقع الإجماع على اختيارها، وانفضت الجلسة في الساعة الخامسة مساء. ثما اجتمع المجلس الإداري عند الثامنة من مساء اليوم نفسه، وانتخب الشيخ ابن باديس رئيسا للجمعية وتم استدعائه كونه كان غائبا حيث لم يحضر معهم في اليوم الأول ولا في اليوم الثاني وفي اليوم الثالث جاء إلى الاجتماع وألقى كلمة جاء فيها : "إخواني إنني قد تخلفت عن

¹ - نقلا عن الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ، ص52

جمعكم العظيم اليوم الأول والثاني فحرمت خيراً كثيراً، وتحملت إثماً كبيراً ولعلكم تعذرونني لما لحقت في اليوم الثالث."

وألقي خطاباً آخر في ذلك الاجتماع عندما باشر مهام الرئاسة هذا نصه :
"الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و آله وصحبه ومن والاه.
إخواني، إنني ما كنت أعد نفسي أهلاً للرئاسة لو كنتُ حاضراً يوم الاجتماع الأول، فكيف تخطر لي بالبال وأنا غائب ؟ لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم وسمو أنظاركم جئتم بخلاف اعتقادي في الأمرين فانتخبتموني للرئاسة .
إخواني كنت أعد نفسي ملكاً للجزائر أما اليوم فقد زدتم في عنقي ملكية أخرى، فالله أسأل أن يقدرني على القيام بالحق الواجب .إخواني إنني أراكم في علمكم واستقامة تفكيركم لم تنتخبوني لشخصي، وإنما أردتم أن تشيروا بانتخابي إلى وصفين عرف بهما أخوكم الضعيف هذا: الأول إنني قصرت وقتي على التعليم فلا شغل لي سواه فأردتم أن ترمزوا إلى تكريم التعليم إظهاراً لمقصد من أعظم مقاصد الجمعية وحثاً لجميع الأعضاء على العناية به كل بجهده الثاني: أن هذا العبد له فكرة معروفة، وهو لن يحيد عنها ولكنها يبلغها بالتي هي أحسن، فمن قبلها فهو أخ في الله، ومن ردها فهو أخ في الله، فالأخوة في الله فوق ما يقبل وما يرد، فأردتم أن ترمزوا بانتخابي إلى هذا الأصل، وهو أن الاختلاف في الشيء الخاص لا يمس روح الأخوة في الأمر العام ". إن المتأمل لهذا الخطاب سيجد فيه روح التواضع لدى عبد الحميد بن باديس الى اضافة الى فلسفة الاعتراف بالآخر حتى و إن كان معارضا له ، والاختلاف في الرأي

عند ابن باديس لا يؤدي إلى القضاء على الصداقة والأخوة بل يفعلها
و يكشفها ويقويها.

4/ أعضاء الجمعية :

وهكذا تأسست الجمعية وتشكل مجلسها الإداري المنبثق عن الاجتماع العام
على للترتيب التالي¹ :

1- الرئيس : عبد الحميد بن باديس

2- نائب الرئيس : مُحَمَّد البشير الإبراهيمي

3- الكاتب العام : مُحَمَّد الأمين العمودي

4- نائب الكاتب العام : الطيب العقبي

5- أمين المال : مبارك المليلي

6- نائب أمين المال : إبراهيم بيوض

أعضاء مستشارين :

1- المولود الحافظي

2- الطيب المهاجي

3- مولاي بن شريف

¹ - الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ، ص57

4- السعيد اليجري

5- حسن الطرابلسي

6- عبد القادر القاسمي

7- مُجَدَّ الفضيل اليراني

ونظرا لكون أغلب أعضاء المجلس يتواجدون بعيدا عن العاصمة بحكم ظروفهم السكنية، تقرر تعيين لجنة دائمة يكون أفرادها ممن يقيمون بالعاصمة تتألف من خمسة أعضاء، تكون على اتصال دائما برئيس الجمعية بقسنطينة وتتولى التنسيق بين الأعضاء وتحفظ الوثائق، وتضبط الميزانية وتحضر للاجتماعات الدورية للمجلس الإداري، وقد شُكلت على الوجه التالي¹ :

1- عمر إسماعيل رئيسا.

2- مُجَدَّ المهدي كاتباً.

3- آيت سي أحمد عبد العزيز أميناً للمال.

4- مُجَدَّ الزميلي عضوا

5- الحاج عمر عضوا

¹ - نقلا عن الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ، ص57

وشهد العام الثاني من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية ميلادها الحقيقي ومساهمتها في الحركة الإصلاحية في بلادنا، فقد كان هذا العام 1932 حدا فاصلا بين عهدين، ومرحلة انتقال من الفوضى والاضطرابات إلى التنظيم والعمل الدقيق، فقد خابت مؤامرات أعداء المصلحين، وردّ الله كيدهم وتأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، ولم يدّخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد.

وحتى يسهل الإشراف على متابعة العمل الإصلاحي، وتنشيط العمل التربوي الذي يقدم في المدارس الحرة، التي بدأت تنتشر في أرجاء القطر، كلف الإمام عبد الحميد بن باديس باقتراح من الجمعية الشيخ الطيب العقبي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري في العاصمة وما جاورها، وكلف الشيخ البشير الإبراهيمي بأن يتولى العمل الذي يجري بالجهة الغربية من البلاد انطلاقا من تلمسان، وأبقى بقسنطينة وما جاورها تحت إشرافه شخصيا وهكذا تقاسم الثلاثة العمل في القطر كله.

وتنفيذا لما تضمنه القانون الأساسي للجمعية تم إحداث فروع لها في جهات مختلفة من القطر ففي السنة الأولى تم تأسيس 22 شعبة، وفي سنة 1936 كان عدد الشعب 33 شعبة، أما في سنة 1938 فقد تطور العدد إلى 58

شعبة، واستمر هذا الجهد التعليمي والإصلاحي رغم العراقيل والاضطهاد التي كان العلماء والمعلمون عرضة لها، ولكن الملاحظة التي يجب تسجيلها هنا هي أن الشعب أقبلت على التعليم الحر بكيفية خارقة للعادة، لذلك انتشرت المدارس في جميع مدن الجزائر وقراها.

وبعد مضي ست سنوات من عمر الجمعية بادر الإمام عبد الحميد بن باديس إلى وضع إطار حرّ وشامل للجمعية وهو أشبه بميثاق أو دستور وضعه لتسير على هديه الجمعية في نشاطها الإصلاحي والتعليمي، فحدد من خلال هذا الإطار ما اسماء "بدعوة جمعية العلماء وأصولها" ونشره في مجلة الشهاب العدد الرابع، المجلد الثالث عشر في جوان 1937 ثم طبع ووزع على العموم.

5/ الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأت وظهور الجمعية:

كما بينا سابقا فقد بُذلت جهود كبيرة لتجميع وحشد القوى والطاقات تحت راية واحدة، لمواجهة التحديات والأخطار المحدقة بالأمة، مع ذلك فقد تضافرت ظروف عديدة وعوامل كثيرة ساهمت جميعها في إظهار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود، نذكر منها ما يلي:

بعد سقوط الخلافة الإسلامية. في تلك الظروف المفعمة بالتحديات، ظهرت جمعية العلماء للوجود. ويحدّد محمدّ البشير الإبراهيمي هذه العوامل فيحصرها في أربعة :

-تأثير أفكار الشيخ محمد عبده؛ وذلك بطريقة المعارضة الشديدة من الفقهاء الجزائريين المتزمتين لأفكارهم التي كانت تتسرب إلى الجزائر بواسطة مجلة "المنار".

-الثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية.

-التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس في أعقاب الحرب العالمية الأولى.
-رجوع طائفة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربي، ولا سيما في الحجاز و الشام، وأبرزهم الإبراهيمي والعقبي .

ويضاف إلى هذه العوامل الأربعة التي ذكرها الشيخ الإبراهيمي، ثلاثة عوامل أخرى قد لا تقل أهمية عن الأربعة؛ وهي :

-اشتداد تأثير الحركات الصوفية بالجزائر، وازدياد نشاطها وتكاثر طرائقها حتى جاوزت العشر طرق، وحتى اكتسحت جميع المدن والقرى، بل البوادي أيضا في الجزائر، فأمست تصول وتجول وتنشر منهجها الذي اختلط فيه الحق بالباطل، فلم يكن شيء يُداول بين الناس غير الفكر الصوفي الذي لا يجاوز سير الشيوخ وكراماتهم؛ وميل أهلها للتصوف، من عوامهم خصوصا، إلى الإغراق في الروحيات، والتكلف الشديد بالخوض في أمور الغيب على سبيل اليقين، والتعلق المثير بمشاهد البركة والمناقب والكرامات .

- اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسي ومبالغته في محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي والهوية الجزائرية والتّمكن للتخلف الذهني، وتشجيع ممارسات وطقوس فلكلورية ليست من الدين الصحيح في شيء .

- شيوع الجهل بين عامة الجزائريين حيث كانت الأميّة تجاوز ثمانين في المائة في أوساط الجزائريين من الذكور، وربما كانت تجاوز تسعين في المائة في أوساط الجزائريات. ولذلك نجد الأستاذ المرحوم محمّد إبراهيم الكتاني الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية في الجزائر .

لقد كانت فترة ظهور الجمعية فترة صراع ثقافي وحضاري، جعل فرنسا تسخر كل الوسائل المتاحة لها من أجل القضاء النهائي على هوية الشعب الجزائري، وقد أدت سياستها إلى تعميم الفقر والجهل بين الأهالي وإلى غلق مؤسساتهم الدينية والتربوية، ومطاردة علمائهم ومثقفهم، كما اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية لا يجوز تدريسها إلا بترخيص (8 مارس 1938م) إلى جانب هذه الابتزازات والمضايقات أطلق الاستعمار الفرنسي يد حركات التبشير لبث سمومها بين الأهالي الفقراء، كما عمل على إبعاد أبناء الجزائريين عن التعليم العربي الإسلامي، عن طريق تشجيعهم على الالتحاق بالمدارس الفرنسية ، ومما زاد الأمور سوء الانتشار المذهل للزوايا والتي بلغ عددها في هذه الفترة 349 زاوية، ولقد كانت للزوايا أهداف دينية وتربوية سامية إلا أن موت مؤسسيها الأوائل أدى إلى انتشار البدع والخرافات وبالتالي إلى الجمود

الفكري، والثقافي لهذا كان لابد من حركة دينية وعلمية لقيادة المقاومة الثقافية والفكرية وتنظيم المواجهة الدينية والتربوية ضد المستعمر¹.

وبهذا تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أصبح تأسيسها واقعا ملموسا في الخامس من شهر ماي 1931م.

ويتبين لنا أن الجمعية جاءت في أصعب مرحلة مرت بها الجزائر التي تميزت بطغيان المشاريع الفرنسية والتي تلغي وجود الجزائر تاريخيا وواقعا وفكريا ووجود الجمعية كان من أجل التصدي لهذه المشاريع الفرنسية، وإخراج الجزائريين من حالة الخنوع التي آلوا إليها فدعوة الجمعية إلى الاسلام واللغة العربية والوطنية التي تشكل في مجموعها الشخصية الوطنية للجزائر، جاءت على النقيض لسياسة الاحتلال التعليمية التي تقوم على فرنسة الجزائريين، وتنصيرهم ودمجهم في الدولة الفرنسية. فقد بُذلت جهود كبيرة لتجميع وحشد القوى والطاقات تحت راية واحدة، لمواجهة التحديات والأخطار المحدقة بالأمة الجزائرية.

¹ -بوفلجة غياث: التربية و التكوين بالجزائر، معهد علم النفس وعلوم التربية ، جامعة وهران، ديوانا لمطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 35.

ثانيا/ أصول ومبادئ جمعية العلماء المسلمين:

لقد اعتمدت جمعية العلماء المسلمين في نهضتها الإصلاحية على مبادئ ركز فيها الإمام عبد الحميد بن باديس على العروبة والإسلام والعلم والفضيلة والتي عبر من خلالها عن مبادئه ومبادئ الجمعية التي تحفظ لنا جنسيتنا و قوميتنا وتربطنا بكل معاني الوطنية ((ولقد وضع ابن باديس خطته على أساس مبتكر يتلخص في أن يحاصر فرنسا في رفق وعزم صارم، وفي الوقت الذي تظن هي فيه أنها تحاصر الجزائر ولم تفتن إلى مهارة هذه الخطوة إلا بعد فوات الوقت فوجدت نفسها محاصرة بعد أن نحى ابن باديس أعوانها طائفة بعد أخرى وكان من الضروري أن يفلح في تنفيذ خطته بعيدة المدى وهي القيام بانقلاب جذري يرتكز في المقام الأول والأخير على إعداد جيل صالح ينهض نهضة إسلامية عربية بحيث يأخذ من عظمة الماضي ومن يقظة الحاضر، ما يعصمه من الزلل والانحراف، ويسير به في طريق المستقبل المشرق))¹. ولن يتحقق حصار فرنسا الا من خلال عملية التربية تربية النشأ على القيم الاسلامية واحياء الهوية.

1/ التربية وملائمة روح العصر: إن المحافظة على الشخصية القومية والاسلامية تحتاج الى منهج تربوي لا يقوم فقط على التمسك بالتراث القديم بحسناته وسيئاته بدعوى أنه أساس الأصالة، ولئن كان ابن باديس قد قام

¹ محمود قاسم : الامام عبدالحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، مصر، دار المعارف، القاهرة، ص 15.

بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ فإنه يقرر أن الثقافة الجديدة لا تنافي
الإسلام الصحيح ، ولا تتعارض مع مقومات الجنسية القومية كما يسميها ،
من هنا يخاطب المسلم الجزائري قائلا: « حافظ على حياتك ، ولا حياة لك
إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك ، وإذا أردت الحياة
لهذا كله فكن ابن وقتك ، تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من
أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل»¹.

ومن هنا نجد أن خطة ابن باديس كان لها أبعاد عدة، بعد إسلامي عربي
يقوم على إعداد فرد متشبع بكل مبادئ الإسلامية العربية، وبعد تربوي يحرك
سلوكه و يبعده عن الزلل والانحراف وذلك من أجل التطلع إلى المستقبل كما
أنه مشبع بروح العصر و متمسك بالتراث و حب الوطن.

وحدد ابن باديس مبادئ الحركة، من خلال ربطها بالقرآن والسنة وضرورة
الافتداء بالسلف الصالح وإحياء الفكر والتجديد، كمنهج لتربية الفرد ثم
المجتمع وهي:

الإسلام هو دين الله الخالد الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله
وهو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به لأنه يدعو إلى الإخوة الإسلامية،
ويسوي في الكرامة البشرية ويفرض العدل ولا يميز بين الأجناس إلا بالتقوى
ويحمل على نشر الإحسان ويحرم الظلم، ويمجد العقل، ويشرك الفقراء مع

¹ - آثار عبد الحميد بن باديس ، ج3، ص43

الأغنياء في الأموال ويحرم الاستعباد ويجعل الحكم شورى والقرآن هو كتاب الإسلام، والسنة القولية والفعلية الصحيحة هي تفسير وبيان للقرآن وسلوك السلف الصالح، والتابعين هو تطبيق صحيح لهدى الإسلام ومفهوم أئمة السلف صالح أصدق المفهوم لحقائق الإسلام، ونصوص والكتاب، والسنة والبدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة، ولم يثبت عن النبي الكريم فعله وكل بدعة ضلالة، والمصلحة كل ما تقتضيه حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم مما تقره أصول الشريعة، وأفضل الخلق هو مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، واختاره الله لتبليغ الرسالة إلى كافة الناس وهو على أكمل الخلق، وعاش مجاهد وأفضل المؤمنين هم الذين آمنوا واتقوا الله، والتوحيد أساس الدين، وكل شرك باطل مردود على صاحبه، وبناء القباب على القبور ووقد السرج والذبح عندها لأجلها والاستعانة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية، وندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه من أحكام بالكتاب والسنة، وهدى السلف الصالح، والجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة وعند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة، ويوجد للشعر ثغرة ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفجر الأزمة ونزول الشدة¹.

¹ - أحمد مريوش : أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبدالحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة ، مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد الأول، 2011، ص136، 137.

والملاحظ أن الفكر التربوي عند ابن باديس كان له بعد فلسفي وديني وهذا ما بينه المستشرق الفرنسي جون جيلسبي بقوله ((كان مذهب العلماء أصلاً مذهباً دينياً ولكن نداءاتها السياسية أفادت في إيقاظ المشاعر القومية في الجماهير الجزائرية، وفي سنة 1938م أعد "ابن باديس" إن الإسلام دين الله ويجب بالأول أن يكون دين الإنسانية، لأنه يشرف العقل ويمجده ويدعو إلى أن تكون كل تصرفات الحياة القائمة على العقل في كل صوره، وهو في جوهره ديمقراطي ولا يسمح بالحكم المطلق على الإطلاق حتى لأكثر الناس عدلاً))¹.

إن هذا الاعتراف من طرف جون جيلسبي يدل على عمق فكر ابن باديس وعمق فهم جون جيلسبي لهذا الفكر ، فإبن باديس لا يستغني عن البعد الفلسفي في العملية التربوية ، كما لا يستغني عن البعد الكوني والعالمي لمنهجه التربوية. وبهذا يكون قد تجاوز سذاجة بعض الفقهاء الذين عطلوا العقل نهائياً فقتلوا بذلك الانسان، ويكون ابن باديس رائد في اعطاء التربية أبعاداً فلسفية وفكرية الى جانب الأبعاد الدينية والاخلاقية والعلمية.

ومن خلال هذا يرى ابن باديس أن الدين هو الذي يساهم في تكوين العقل الفرد وعلى هذا النحو يحرر الإنسان ويستنكر الاستعباد، ويكرس كل معاني الديمقراطية والعدالة.

¹ - جون جيلسبي : ثورة الجزائر، ترجمة عبدالرحمن صدقي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص63،64.

ومما لاشك فيه أن ابن باديس التزم في مسيرته الإصلاحية بما دعا إليه وكان يرى دوماً إن خدمة الجزائر مرتبطة أساساً بخدمة العقيدة الإسلامية التي جاءت للبشرية جمعاء، ومن ثم لم تكن حركته الإصلاحية خدمة للجزائر فحسب، بل و للإنسانية جمعاء¹. وقد جاء في الفصل الرابع من قانون الجمعية الأساسي أن القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة، والفجور وبالجمل فكل ما يفسد على الناس عقولهم أو يضع عليهم أموالهم فهو من الآفات، ومن هنا حاربت الجهل والجمود والدجل والخرافة وكل أنواع الأباطيل، كما حاربت من جهة أخرى كل ما يقف في وجه التعلم والتعليم سواء باللغة العربية أو اللغات الأجنبية. و بعبارة أخرى فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي:

جمعية إسلامية جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية وفلسفية ودينية في مبادئها وغاياتها، وقد تأسست من أجل تحقيق هدف تتطلبه ظروف الجزائر وأوضاعها السياسية والثقافية والاجتماعية، وهو تعليم الدين واللغة العربية وبعث الثقافة العربية الإسلامية في البلاد، والمحافظة على مقومات الشخصية القومية للجزائر.

وقد قامت بمحاربة نوعين من الاستعمار: كان الشعب الجزائري يعاني من شدة وطأتهما أحدهما داخلي وهو الطرق الصوفية المنحرفة عن الدين، والتي

¹ - أحمد مريوش: أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة، ص 136، 137.

أصبحت ألعوبة في يد الاستعمار ضد المصالح العليا للوطن، والثاني خارجي وهو الاستعمار الفرنسي الذي ييسط سيطرته على الجزائر بقوة الحديد والنار ويعمل على القضاء على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر، وقد انتصرت على الاستعمارين معا في نهاية المطاف¹.

ومن هنا يتبين لنا أن أهداف الجمعية جاءت من أجل تكوين عقل الفرد وإشباعه بكل المقومات الشخصية الوطنية، التي تجسدت في الدين واللغة والثقافة العربية الإسلامية، وهذا عن طريق إبطال جميع المحاولات التي قد تمس هاته المقومات. فقد سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر إلى محو جميع آثار الثقافة العربية الإسلامية وطمس معالم الحضارة، وتخطيط الكيان العلمي والثقافي للشخصية الجزائرية، هذا الأمر جعل جمعية العلماء المسلمين تعمل على إصلاح النفوس، وصقلها من جديد وهذا من خلال أهداف تربوية سطرها بغية ذلك.

إن المتصفح لقانون الجمعية يدرك أنها أنشأت للوعظ والإرشاد وتهذيب الناس، ومحاربة الأمراض الاجتماعية، والابتعاد عن كل المسائل السياسية ولكن المتتبع لأعمال الجمعية ونشاطها منذ ميلادها حتى سنة 1956م يجد وبكل وضوح أن أهدافها كانت وطنية سياسية وفكرية بالدرجة الأولى وإن

¹ - تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، د ت ، ص 202، 203.

كانت قد بدأت بتطهير المعتقد وتهذيب السلوك وتحسين الأخلاق¹. ولقد لخصت جريدة (لسان العرب) أهداف الجمعية سنة 1947م في نقطتين اثنتين هما:

-الاول هو إحياء ما اندثر في تعاليم الإسلام والثاني إحياء ما مات من مظاهر اللغة العربية.

و بين الشيخ مُجَّد البشير الإبراهيمي أن أهداف جمعية العلماء المسلمين تتمحور في ما يلي:

إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه وإحياء آدابه، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها، وتطالب باستقلال فضائله وتسمي عدوانك على الإسلام ولسانه ومعابده وقضائه عدوانا بصريح اللفظ وتطالب بحرية التعليم العربي وتدافع عن الذاتية الجزائرية، التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن وتعمل على إحياء اللغة العربية وآدابها في موطن عربي، وبين قوم من العرب، وتعمل على توحيد المسلمين في الدين والدنيا وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم، وسير أعلامهم وأمجاد تاريخهم وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي، لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب لقد كان ابن باديس ورفاقه أعضاء جمعية العلماء من الحصانة بمكان

¹ - عبدالكريم بوصفاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1954م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د ط، الجزائر، 1983، ص109.

حيث أبدوا أشياء وأضمرؤا أخرى، مكتفين في تصريحاتهم الرسمية بإعلان الدعوة إلى الإصلاح الديني والتعليمي حذرًا. وأكد ابن باديس أن الجمعية يجب أن لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد، لترقية الشعب وهدايته و تخليصه من الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق.

وبين ابن باديس أن المسلمين هم السواد الأعظم في وطنهم، فإذا تثقفوا بالعلم، وتحلوا بالآداب، وأُشْرِبُوا حبَّ العمل، وانبعثت فيهم روح النشاط، كان منهم كل خير لهذا الوطن وسكانه على العموم، بما يُسر به الحاكم والمحكوم¹.

و يختصر لنا الشيخ مُحمَّد البشير الإبراهيمي مهمة الجمعية مؤكدا على أن المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائها، وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين، هي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة.

والحقيقة أن جمعية العلماء المسلمين، أدركت بوضوح أن العلة في بقاء الاستعمار جائئًا على صدر الأمة دهرًا طويلًا، تكمن في ما يسمى بالقابلية للاستعمار، والتي مردها إلى ما طرأ على الشعب من انحراف في عقيدته وفكره وأن العلاج الصحيح يتمثل في إزالة تلك العلة من أساسها، أو كما قيل أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم. و ذلك مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد:11).

¹ - بوفلجة غياب: التربية والتكوين بالجزائر، ص37.

يمكن القول بعد هذا أن جمعية العلماء المسلمين تجاوزت طابع النقل غير المتأمل في منهجها الاصلاحى واعتمدت ايضا على العقل والعلم لإحلال الوعي في الفرد ونادت بالعودة الى الذات لرفع الغبن عن الجزائريين.

ونجد كذلك من بين الأهداف التي ترمي الجمعية إلى تحقيقها في الجزائر هي إحياء اللغة العربية كوسيلة في التربية وثقافتها، والعمل على نشرها في البلاد بعد أن عمل الاحتلال على وأدّها ودفن حضارتها في الجزائر أكثر من قرن من الزمن، والعمل عن طريق خفي تحت ستار تعليم الدين والوعظ والإرشاد، وتوجيه التربية نحو القضاء على الاستعمار وعلى كل سياسات الفرنسة والتنصير والتجنيس والإدماج التي يسير عليها الاحتلال في الجزائر ومنه العمل من أجل استقلال الجزائر وضمها إلى الأسرة العربية الكبرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى تحقيق النهضة في الجزائر وهو الهدف البعيد من وراء تأسيس الجمعية وذلك بالعمل على تعزيز العروبة والإسلام في منابعه الصافية التي كان ينهل منها سلفنا الصالح ، ونشر العلم والمعرفة والتحلي بالأخلاق الفاضلة يقول ابن باديس ((هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة العربية وتنيرنا بالعلم، وتحلينا

بالأخلاق الإسلامية العالية، وتحفظ علينا جنسيتنا و قوميتنا السامية وتربطنا بوطينتنا الإسلامية الصادقة)¹.

بالإضافة إلى المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الثقافية والحضارية والدينية والتاريخية والوطنية وحتى الفكرية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها.

لقد سعت الجمعية من خلال أهدافها إلى إحياء الثقافة العربية وبعثها وذلك عن طريق توجيه الشباب الجزائري وتكريس كل مبادئ الإسلام والدعوة إلى التعليم العربي، دون تجاهل التفتح على اللغات الأخرى وثقافة باقي الشعوب، ونشر العلم باعتباره معرفة شاملة وأساسا فكريا تقوم عليه نهضة الأمم، وهذا من أجل تكوين رجال علم يكونون دعاة الإسلام والجهاد، يقفون أمام كل السياسات الفرنسية التي تحارب مقومات الشخصية الجزائرية لأن لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته.

2/تطور نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

اعتمدت جمعية العلماء المسلمين على أساليب وطرق لخصتها جهودها ونشاطاتها، ويلاحظ أن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التعليمية قد مرت بعدة مراحل يمكن تقسيمها إلى ثلاث:

¹ - نقلا عن: عبد القادر فضل، محمد صالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، د.ط، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة للنشر والتوزيع، 1998، ص211، 212.

أ- المرحلة الأولى (1931-1939م):

تميزت هذه المرحلة بنشاط ثقافي وإعلامي كبيرين قامت بهما الجمعية تعريفًا بمبادئها، ومحاولة نشر دعوتها بين المواطنين وإقناعهم بجدواها. و في هذه المرحلة أسست عددا من المدارس والمساجد، والنوادي في أهم المدن والقرى الجزائرية التي استطاعت أن تصل إليها دعوتها. ولم نستطع الحصول على إحصاء شامل لها في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ تكوين الجمعية وبداية نشاطها التعليمي والتربوي، وقد امتد نشاطها في هذه الفترة إلى فرنسا حيث تعيش جالية جزائرية كبيرة في مختلف المناطق الصناعية الفرنسية، فأسست مجموعة من النوادي الثقافية التي كانت تقوم بمهمتين في وقت واحد:

- المهمة الأولى: ثقافية ودينية تتمثل في إلقاء التوجيهية ودروس الوعظ والإرشاد بقصد المحافظة على شخصية هؤلاء العمال الجزائريين القومية، وقد اختارت الجمعية للقيام بهذه المهمة مجموعة من أعضائها المقدرين، برئاسة الفضيل الورتلاني وذلك ابتداء من عام 1936م، ولقد ركزت جمعية العلماء المسلمين في نشاطاتها على التوعية الإسلامية والتعليم معتمدة في ذلك على المؤسسات التربوية التقليدية من مساجد وزوايا وكتايب، كما أنشأت مدارس خاصة بها ومستقلة عن الإدارة الفرنسية¹.

¹ - بوفلجة غياث: التربية والتكوين بالجزائر، ص98.

- **المهمة الثانية:** أما المهمة الثانية فقد كانت تربوية تتمثل في الدروس التعليمية، التي كانت تنظم لأبناء هؤلاء العمال في غير أوقات دراساتهم في المدارس الفرنسية، لتلقينهم مبادئ القراءة والكتابة، باللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، وتاريخ الإسلام والجزائر وجغرافية الجزائر والعالم العربي والإسلامي حتى يرتبط هؤلاء الأطفال منذ الصغر بالحضارة العربية الإسلامية بوطنهم الجزائر، ولا ينصهروا في الوسط الذي يعيشون فيه، ولا سيما أن عددا كبيرا منهم مولودين لأب جزائري وأم أوروبية، مما يكون خطورة كبيرة على شخصيتهم القومية بعد أن يشبوا عن الطوق.

وقد وصف عبد الرحمان البعلاوي أحد مسؤولي الجمعية في باريس بعد الحرب العالمية الثانية حالة هؤلاء الأطفال الجزائريين في تقرير قدمه إلى الجمعية في عام 1951م، وتبدو الخطورة على مستقبل هؤلاء الأطفال المولودين لأب جزائري وأم أوروبية في كثرة عددهم فقد سجلت على سبيل المثال منطقة باريس وحدها في عامي (1941-1944م) خمسة عشر ألف حالة ولادة لأطفال جزائريين بين ذكور وإناث، "ولدوا من زواج مختلط" كما سجل "جامع باريس" في الفترة ذاتها ستة آلاف حالة "ختان" للأطفال الجزائريين.

في الواقع إن حالة الجزائريين المقيمين في فرنسا وأوروبا قد أثارت اهتماما كبيرا، لدى مختلف المنظمات الوطنية، ولكن جمعية العلماء هي المنظمة التي أخذت زمام المبادرة لعلاجها محافظة على شخصيتهم العربية الإسلامية، لأنها

المنظمة التي سخرت جهودها ونشاطها لنشر التعليم العربي، وإحياء اللغة العربية بين أبناء الجزائر داخل البلاد وخارجها يقول الإبراهيمي ((في فرنسا جالية عظيمة من المسلمين الجزائريين تبلغ مئات الآلاف متفرقة على مدن الصناعة عاملة على كسب القوت بعد أن أجلاهم الاستعمار عن وطنهم بأساليبه المعروفة، فخرجوا منه مكرهين لا مختارين))¹.

وقد قضت عليهم الضرورة أن يعيشوا في وطن ليس فيه إسلام ولا عربية وأن طول إقامتهم فيه قد تدوم، وفرضت على بعضهم أن ينقل إليه زوجته المسلمة أو يتزوج من أجنبية وينسل، وقد بلغ عدد أطفالهم في باريس وضواحيها نحو من عشرين ألف طفل.

وإذا كان أبناء الجزائر معرضين للخطر من ناحية عروبتهم وإسلامهم في داخل الجزائر نتيجة للسياسة الفرنسية والتنصير التي تسير عليها إدارة الاحتلال بالتعاون مع المنظمات التبشيرية المسيحية في التعليم، والإدارة ووسائل الإعلام والثقافة، فإن ذلك الخطر بدون شك سيتفاقم ويشتد على هؤلاء الجزائريين في فرنسا نظرا لبعدهم عن محيطهم العربي الإسلامي، لذلك فإن مسلمي فرنسا الجزائريين معرضون للتخلي عن الإسلام والعروبة بطول الأمد، وتأثير الوسط خصوصا المولودين منهم لأب جزائري وأم أوروبية فإذا لم تقم جمعية العلماء بتعهدهم ورعايتهم بالوعظ والإرشاد لكبارهم وتعليم الدين واللغة العربية

¹ - نقلاً عن: تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص211.

لصغارهم، ضاع على الجزائر الآلاف من أبنائها يندمجون في دين غير دينها وجنس غير جنسها ومن ناحية أخرى كانت هذه المرحلة (1931-1939م) مرحلة جهاد وصراع ضد أعدائها المتمثلين في الاحتلال وخصوصا المتمثلين في بعض رجال الطرق الصوفية المنحرفين وبعض السياسيين الضالعين مع الاحتلال في حرب الشخصية الجزائرية¹.

ب- المرحلة الثانية (1939-1944م):

أما هذه المرحلة فقد توقف فيها نشاط الجمعية إلا في نطاق محدود نظرا لظروف الحرب العالمية وخضوع البلاد للأحكام العرفية، وحرمان الجزائريين من كل نشاط سواء كان سياسيا أو غير سياسي، وفي هذه المرحلة توفي رئيس الجمعية الأول عبد الحميد بن باديس في 16 أبريل سنة 1940م، كما قام الاحتلال بنفي نائب رئيس الجمعية محمد البشري الإبراهيمي إلى الصحراء في مارس سنة 1940م، حيث قضى في منفاه في آفلو ثلاث سنوات ثم أفرج عنه في أوائل عام 1943م.

وبعد وفاة "ابن باديس" خلفه الإبراهيمي في رئاسة الجمعية، حيث انتخبه الأعضاء بالإجماع وأصبح منذ ذلك التاريخ يدير أمورها وأعمالها، من مقر منفاه عن طريق الرسائل التي كان يتبادلها مع الأعضاء بواسطة الرسل الثقاة.

¹ - تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص212.

ج- المرحلة الثالثة (1944-1956م):

تمتد المرحلة الثالثة والأخيرة من جهود جمعية العلماء التعليمية من عام 1944م حتى عام 1956م حيث توقف نشاطها عن العمل بعد قيام الثورة في الجزائر سنة 1954م بحوالي عامين. وتعتبر هذه الفترة الانطلاق الواسع النطاق في نشر التعليم العربي "الحر" وتكوين المدارس، وإقامة النوادي وتأسيس المساجد، وقد بين مُجدّ عابد الجيلالي أهمية التعليم العربي فقال ((الغرض من التعليم العربي هو أن يكون في الجزائر وسطا مثقفا لسانا وفكرا وروحا بالثقافة الإسلامية العربية، وما دمنا لا نحس أثر هذه الثقافة بيننا فليس لنا أن ندعي بأن لنا تعليما عربيا صحيحا، لكن اليوم الذي نربي فيه أقالما ما تجول بمختلف الميادين، ألسنة تتفجر عن ينابيع الحكمة شبابا يعتز بلقبه عامة قادرا على التمييز بين الإسلام والخرافة، وبين الحق والباطل))¹.

وهنا نجد أن الجمعية واصلت نشاطها بعد الركود الذي عرفته في المرحلة الثانية والذي كان سببه الحرب، وعليه فقد اهتمت بالتعليم العربي الحر الذي كان ضيق النطاق، فسعت الجمعية إلى توسيع الأمكنة للتعليم عن طريق إقامة النوادي وذلك بتنظيم دروس ومحاضرات دينية في المساجد، لأن نشر التعليم العربي الحر يدل على رمز من رموز اليقظة الوطنية، وأيضا يعتبر دليلا على نمو الوعي القومي، والخروج من دائرة التخلف الفكري بشتى الطرق و الوسائل.

¹ - نقلا عن: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ، د.ط ، دار المعرفة ، باب الواد الجزائر، 2008، ص 110، 109.

و تجدر الاشارة الى أن جمعية العلماء المسلمين كانت مصرة على ضرورة تعليم المرأة باعتبارها مدرسة، وكان في مدارس جمعية العلماء نحو ثلاثة عشر ألف بنت يشاركن الأولاد في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية، ثم ينفردن ببرنامج محكم في التكوين. حتى ان ابن باديس حاور أحد جنرالات فرنسا فقال له سأسجنك فرد عليه ابن باديس لقد تركت في الجزائريين الآلاف من النساء يحملن فكري، وكلهن ابن باديس فأدركت القيادة الفرنسية أن الرجل اصبح أمة ومنهجه التربوي انتشر فلا فائدة من سجنه. وكان موت ابن باديس أعظم بالنسبة للفرنسيين من كسب الحرب ضد المانيا على حد تعبير أحد جنرالاتها.

ثالثا / الفلسفة التربوية عند جمعية علماء المسلمين:

1- الفكر التربوي عند ابن باديس:

أ-تعريف التربية:

التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول علماء النفس تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، يقال: ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة، وتقول تربّ الرجل إذا أحكمته التجارب وأنشأ نفسه بنفسه.

ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية حتى يصبح قادرا على مسايرة الطبيعة والحياة ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها و تطورها¹. و هي مسار يقوم على تطور الوظيفة أو عدة وظائف تطورا تدريجيا بالتدريب وعلى تجويدها و انتقادها².

ب- التعليم: هو التدريس وهو مقابل للتعلم نقول: علمته العلم فتعلم.

¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة التربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1982 ص 266.

² - أندريه لالاند : الموسوعة الفلسفية، ج1، مادة التربية، عوידات للنشر والطباعة، لبنان، 2008 ص 322.

ويشترط في التعليم توفير الشروط التي تسهل طلب العلم على الطالب داخل المدرسة أو خارجها. و التعليم أخص من التربية لأن التربية تشمل نقل المعلومات إلى الطالب مع العناية بتبديل صفاته وتهذيب أخلاقه.

ويركز التعليم على نقل المعلومات بطرق مختلفة، ومفهوم التعليم يتضمن مفهوم الحاجة إلى المعلم على حين أن المفهوم التعلم لا يتضمن ذلك، لأن المتعلم يستطيع تحصيل العلم بنفسه، وربما كان استقلاله بطلب العلم أعمق تأثيراً في نفسه من أخذه عن معلم، وكل تعليم فهو إنما يكون عن معرفة متقدمة الوجود وهي تنقل من جيل إلى جيل بواسطة المعلمين والكتب ووسائل التعليم وغيرها¹.

وبواسطة التعليم يحقق الفرد كفاءته ونموه الفردي، أو هو العملية المقصودة التي تؤدي بواسطة مؤسسات أنشئت خصيصاً لهذا الغرض، ويقوم أفراد اختيروا ودربوا لقيام بهذه العملية بهدف الحصول على المعرفة واكتساب المهارة وتنمية قدرات وطاقات خاصة².

2- علاقة التربية بالتعليم:

العلاقة بين التربية والتعليم علاقة جدلية ضرورية وحتمية متكاملة الأهداف والمرامي والغايات، ولا يمكن الفصل بينهما إلا لضرورة البحث، بيد أن لكل

¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، مادة التربية ، ص 307.

² - نايف القيسي: المعجم التربوي وعلم النفس، دار أسامة، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 170.

من التربية والتعليم أهدافاً خاصة ومميزة تسهم في تحقيق أهداف معرفية، وأخرى تربوية ومعرفية خلال فترة دراسية واحدة وضمن مادة لغوية أو علمية أو اجتماعية. فعلى سبيل المثال فإن نصوص القراءة لوحدها والتي تتضمن مواقف أخلاقية لا بد من دراستها والوقوف عند إفرازاتها وملاحظتها عبر الشرح الواعي والمستفيض بهدف الاستثمار اللغوي والفكري لنصوصها ومفرداتها، وهذه المزايا تنسحب وتنعكس تلقائياً على مواقف أخرى أخلاقية وتربوية سلوكية، يجب هنا أن نحسن اختيارها واستغلالها ودمجها تلقائياً ضمن المنهج الدراسي. وبالسير وفق هذا التعامل التربوي مع مواد التدريس حققنا عدة أهداف تربوية وسلوكية وثقافية أهمها أمران مهمان هما المعرفة والتربية والعلم والأخلاق، وفي سياق هذا البحث المعمق في منظومة العمل التربوي يمتلك الطلاب المعرفة ويتعلمون في الوقت نفسه كيف يكبحون جماح النفس والسيطرة على غرائزهم والارتقاء إلى مستويات راقية متحصنين من عواصف الانحرافات الفكرية والثقافة الغربية، ويأخذ هذا النسق التعليمي المبني على الوعي المجتمعي إلى تهيئة وتوفير الفرص لتحقيق التكامل المطلوب بين التربية والتعليم.

ويمكننا القول أن مجمل هذه الرؤى والأفكار التي يجب أن تلازم هذا المسار التعليمي، لتفضي بالتأكيد إلى تحقيق مردود تربوي وتحصيل معرفي، متميزين نوعيين، وعلى هذا النحو من التعامل الواعي مع البرامج والمناهج التعليمية والتربوية نفرز قدرات تعليمية وخبرات تربوية فاعلة تحقق المنطق الشمولي في تنشئة الطلاب تنشئة تربوية متكاملة، تتجاوز حدود المعرفة والتربية، بل تعمق

في مفاهيمها وأبجدياتها وإيديولوجية العملية التعليمية والتربوية، بالإضافة إلى ما تطرقنا إليه من أهداف وتطلعات يأتي في المقدمة استثمارها تربوياً وأخلاقياً والارتقاء بأسس وطرق وأساليب العمل التربوي والتعليمي يتكيف مع مضامينها وأهدافها تدريجياً، إلى أن تسجيل سلوك ينشأ عليه نشأة عقلية روحية متوازنة، فيغدو قادراً على التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل فيتبع الخير والحق ويتجنب كل ما هو شر وباطل، وبذلك يسلك طريق الفضيلة مستنيراً بالقُدوة الصالحة، قدوة المربي الصالح النافع لبلده ولأمته¹. و التربية في النهاية هي ضبط وتوجيه عملية التعليم.

ولقد استمد ابن باديس فلسفته التربوية من خصوصيات المجتمع الجزائري بشكل خاص ومن الفكر الإسلامي بشكل عام، وقد عكست تجربته التربوية استيعاباً دقيقاً لوضعية الجزائر المحتلة وقد انطلق العمل التربوي لتأمين الأرضية الخصبة للمواجهة المطلوبة التي أفرزتها الحقبة الاستعمارية، والمتمثلة في المؤامرة ضد الهوية الوطنية المكونة من الفرنسية والاندماج والميز العرقي، وأن التصدي لإحباط تلك المؤامرة يكون عبر وسيلة التربية والتعليم وغرس العقيدة في عقلية المجتمع، وجعل ابن باديس من التربية الدينية والخلقية وتحفيظ القرآن الوسائل البديلة لجمع شمل الجزائريين وتوحيد الصفوف.

¹ - سالم شيخ: جدلية العلاقة بين التعليم والتربية،

<http://www.algomhariah.net/articles.php?id=11272> pm 11 :30.2014.

والظاهر أن الفكر الباديسي كان مستمدا أيضا من الواقعية وعلى القاعدة الشعبية التي كان يعتمد عليها في حركته، وقد راهن على هذه الكتلة الاجتماعية العريضة التي هي في أمس الحاجة إلى التغيير والإصلاح لما تعاني منه من ضيق استعماري، ولم يخاطب الحركة الأفقية صاحبة الامتيازات إلا في الحالات النادرة.

وكانت مهمة التعليم والتربية عند ابن باديس مهمة آنية تثقيفية تهيئية توعوية، ومهمة بعيدة عن السياسة ظاهريا، وهي متلازمة مع المهمات الأخرى الثقافية والاجتماعية، وفق توسيع المقروئية بين الشباب ونشر وسائل التعليم سوف تكون ثقافة جديدة رافضة للواقع الجزائري المرير، وبالمقابل تأسيس أطر فاعلية وظيفية ضد مدرسة التعريب الفرنسية، ومن ثم كان نداء ابن باديس في البصائر في ديسمبر 1936م، بعد مرحلة هامة في تحديد المفاهيم التربوية وبناء الأطر الناجعة لحركته العلمية، لذلك نادى ابن باديس بضرورة الرجوع إلى المنهج التربوي الذي سار عليه الرسول الكريم وصحابته في تعليم الدين الذي كون به رجالا قدموا للأمة الإسلامية أشياء عظيمة، لذا يحرص ابن باديس على التعليم الديني القرآني السني، وقد اعتبر ابن باديس المناهج المعتمدة في الجزائر جوفاء وتشوبها العيوب، لأنها لا تعتمد على المبادئ والأسس التربوية

النبوية، التي من صفاتها أسلوب المعاملة بالقُدوة الحسنة والتوجيه وأسلوب المحاور¹.

وبهذا كانت فلسفة التربية عند ابن باديس تهدف إلى تثقيف الذات، إن صلاح المجتمع يكون بصلاح الفرد وصلاح الفرد يكون بتطهيره مما تسرب إلى نفسه وروحه من ثقافة المحتل الغاصب، ويهدف ابن باديس إلى هدم التحصين القديم المبني على الاستراتيجية الفرنسية وتحييده، بما هو أصلح للأمة الجزائرية لتأمين قوة الصمود والتصدي ضد الآخر، ولن يكون ذلك إلا بقوة التحصيل العلمي والديني والاجتماعي، وتكوين نخبة وطنية تفكر بالفكر الجزائري لا بالفكر الفرنسي، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((نعرف كثير من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكرون وربما عن غير سوء قصد تاريخنا مقوماتنا ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا وكنا نرد عليهم في كل مناسبة تبدو منهم مثل هذه البوادر السامة الخاطئة))².

وكانت سياسته التربوية تستهدف تأهيل الجزائريين وتنمية قدراتهم العقلية والاجتماعية والخلقية وحتى الاقتصادية والسياسية من أجل البحث عن حياة أفضل، وفق استرجاع المقومات والدفاع عن الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها وبالمقابل يراهن ابن باديس على تحقيق المنظومة الجديدة التي سوف تؤول إليها

¹ - شريف رضا: تجربة التجديد والإصلاح في فكر بن باديس ومحمد عبدو، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص59.

² - نقلا عن: أحمد مريوش: أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة، ص40.

مهمة تحقيق الأهداف السياسية التي يتولاها جيل قادر على المنافسة والتحدي وهو مفعم بالحصانة الكافية¹.

وعليه فإعداد جيل وتربيته على تحمل المسؤولية النابعة من إحساسه بالحرية يجعله يخدم أمته، فحرية الفرد وسيادة الجماعة تنشر الوعي السياسي، وبالتالي تخلق التوازن السياسي فالتربية عند ابن باديس تكمل السياسة والعكس بالعكس وفي هذا فكرة فلسفية مهمة وهي أن التربية كفيلة بصنع السياسة وابطال كل مشروع سياسي مضاد، ولا يمكن المرور الى السياسة دون تهيئة القاعدة الشعبية وتوعيتها.

3/ المنهج التربوي عند ابن باديس:

التربية في تصور ابن باديس هي جهد إنساني هادف يوجه لرعاية الفرد والمجتمع، ويسعى لبناء الفكر وتنقيف العقل ، وتقويم الأخلاق وتقوية البدن من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية وهي بلوغ الكمال الإنساني وبناء الشخصية المتكاملة التي يركز الاهتمام فيها على الجوانب العلمية والعملية والأخلاقية.

هذا مضمون التصور الذي نجده في ثنايا أقوال ابن باديس عند تناوله موضوع التربية والتعليم.

¹ - أحمد مريوش: أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة ، ص140.

وبين في هذا الصدد عند تحديد المهمة التي أنشأت من أجلها جمعية التربية والتعليم الإسلامية أن القانون الأساسي للجمعية بني من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف لأفكارهم بالعلم باللسانين : العربي والفرنسي أي إكسابهم الجوانب المعرفية النظرية ومن الوجهة العملية التطبيقية، تعليمهم الحرف الصنائع أي إكسابهم القدرة على توظيف المعارف المكتسبة ، وتطبيق النظريات ، وتدريبهم على المهارات اليدوية، ومن الوجهة المالية : تعويد الأمة على التبرع المنظم ، في المشاريع التي تعود عليها وعلى أبنائها بالنفع العام.

والتربية من جهة أخرى عند ابن باديس هي سعي متواصل إلى تحقيق ما نستطيع من كمال في حياتنا أي أن العمل التربوي ينبغي أن يستهدف ترقية أفكارنا وإثراء خبراتنا وإذكاء وعينا ، وتهذيب سلوكنا، تقوية إرادتنا، ليحقق في ذواتنا وفي مجتمعنا ما نتطلع إليه من قوة ورقي، ويؤكد ابن باديس على أن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية، والمثال الكامل لذلك هو حياة محمد ﷺ في سيرته الطيبة. ومن هنا يظهر تفعيل الشريعة عند ابن باديس وتحويلها الى آلية حقيقية لتمكين منافع الناس .

ولكي يتحقق للإنسان الكمال الذي يتطلع إليه يجب أن يسمو العمل التربوي في نظر ابن باديس - إلى درجة يصبح مضمونه خدمة الإنسانية ومساعدة الفرد على النمو في هذا الاتجاه ، يرى ابن باديس أن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها، والحدب عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده ونرمي إليه، ونعمل علة تربيتنا وتربية غيرنا. و يظهر هنا البعد الإنساني الكوني لمفهوم التربية عند جمعية العلماء المسلمين فالتربية ليست حكر قومي كما يعتقد البعض بل هي امتداد إنساني كوني.

إن القصد من التربية هو السعي الى تحصيل والكمال الإنساني والذي يتوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل على حد سواء .

ويذكر ابن باديس أن حياة الإنسان مبنية على الإرادة والفكر والعمل أي على الجوانب التي تشكل شخصية الإنسان حيث يقول : "حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة : الإرادة، الفكر والعمل وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لا بد منها فالعمل متوقف على البدن والفكر متوقف على العقل والإرادة متوقفة على الخلق، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح ، والإرادة القوية، من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم . فلهذا كان الإنسان مأمور بالمحافظة على هذه الثلاثة : عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار عنها" ومن هذا النص سنستخلص أن ابن باديس يرى أن التربية الحققة هي التي تتوجه العناية بالعقل والوجدان والنفس والبدن والسلوك

وكل الجوانب التي تتألف منها شخصية الإنسان ويبدو أن ابن باديس تحول هنا الى مفكر وجودي جازما بأن إرادة الإنسان كفيلة بصنع مستقبله متجاوزا فكرة الجبرية الساذجة والتي سادت وتسود اليوم بعض المذاهب السلفية. وهذا ما نبه اليه المستشرق الفرنسي في كتابه الإسلام.

أ-التعليم و وظيفته :

هذه هي نظرة جمعية العلماء إلى التربية أم التعليم عند علمائها فهو عمل العلماء الذي أوجبه الله عليهم، لهداية الناس وإرشادهم إلى النهج الذي رسمه الإسلام، ونشر العلم والمعرفة بينهم، وبث الوعي في نفوس أبنائهم وتوريثهم القيم والأفكار التي تصلح أحوالهم، وترفع شأنهم، تنهض بأممتهم. ومن المعلوم أن التعليم هو أساس النهضة والطريق إليها، وقد ذكر ابن باديس أركان النهضة مبينا انحصارها في العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا.

ثم يشيد بالرسالة التي اضطلعت بها الجمعية - منذ نشأتها - في هذا المجال فيؤكد على أن هذه الجمعية مازالت منذ كانت تفقهنا في الدين و تعلمنا اللغة وتيرنا بالعلم، وتربطنا بوطينتنا الإسلامية العالية، وتحفظ علينا جنسيتنا و قوميتنا السامية، و تربطنا بوطينتنا الإسلامية الصادقة.

إن التعليم في نظر ابن باديس يتجاوز الاختصار على تلقين المعرفة وتعليم وسائل اكتسابها، إن تربية الإنسان تربية شاملة يلقي فيها العلم وتربي قدراته و تنمي مواهبه، و يؤكد ابن باديس على ضرورة التعليم مبينا أن الأمم لا تنهض إلا على صوت علمائها، فهو الذي يحل الأفكار من عقولها ويزيل على الأبصار غشاوتها ويبعث الهمم من مراقدها، ويدفع بالأمم إلى التقدم في جميع نواحي الحياة. فالتعليم إذن هو الحياة وهو التقدم، هذا ما آمن به ابن باديس و سعى له و عمل على تحقيقه طوال حياته.

غير أن التعليم الذي يحقق هذه الغاية هو التعليم الذي ينطلق من تصحيح العقيدة وتقويم السلوك ويراعي أحوال الناس الحاضرة، ويبنى مناهجه على أساس الربط بين العلوم الموروثة والحقائق الحضارية المعاصرة أو ما يعرف بالتقليد العقلاني والتفتح المشروط على الحضارات الأخرى وهذا ما نادى به الكثير من الفلاسفة فيما بعد ومن بينهم زكي نجيب محمود وطه عبد الرحمان.

ويبدو من تحليل ابن باديس لوظيفة العلم والعلماء، ودور التعليم في بعث اليقظة الفكرية وإحياء مجد الأمة أنه مدرك تمام الإدراك الدور البالغ الذي يؤديه التعليم المنظم، والأثر الذي يحدثه في شخصية الفرد، وشخصية المجتمع سلبا أو إيجابا، لذلك رأى أن صلاح التعليم أساس الإصلاح، وبما أن العلماء هم الذين يوكل إليهم تعليم الناس و تثقيفهم وهدايتهم ،فإنهم لن يستطيعوا القيام بهذه الرسالة الإنسانية النبيلة المنوطة بهم، إلا إذا كانوا على وعي تام بها

ولم يكونوا من أهل التحجر و الجمود في تفكيرهم وفي أعمالهم، وفي نظرهم إلى الدين وارتباطه بالحياة، يقول ابن باديس: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح الجسد كله، وإذا فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به و إنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علمائهم أهل جمود في العلم، و ابتداع في العمل، فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته"¹. خلاصة القول أن عصب الحياة في المجتمع هم العلماء وعصب الحضارة هو العلم و الفكر.

ب- التربية مطلب و حق إنساني :

إن التربية في نظر ابن باديس من الحقوق الأساسية التي يجب أن يمكن منها جميع المواطنين، هي الوقت ذاته واجب على المجتمع. لذلك كان اهتمامه موجه لتعليم جميع المواطنين صغارا و كبارا ذكورا وإناثا، لأنه لم يكن من أنصار التعليم الموجه لصفوة من الناس أو خاصتهم، وإنما كان من الداعين إلى نشر التعليم على أوسع نطاق لتمكين أكبر عدد من أبناء الوطن من تعلم لغتهم ودينهم وتاريخهم، والعلوم التي تهيئهم للحياة التي تنتظرهم، وتعددهم ليكونوا جنود الوطن وحماة.

¹ - نقلا عن: الزبير بن رحال: الإمام بن باديس ، ص 58

و أكد غبن باديس على أن التعليم يجب يعم أبنائنا وبناتنا، ونسائنا ورجالنا على أساس ديننا و قوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم.

وقد ورد في القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم الإسلامية التي هو رئيسها والتي كانت بمثابة هيئة عليا للتوجيه التربوي ما مفاده أن الجمعية تدعو جميع الجزائريين في كل جهة من جهات القطر إلى تأسيس فروع لتربية أبنائهم وبناتهم، وأن يسعوا لذلك السعي المتواصل. فإنهم أي -المواطنين- لا بقاء لهم إلا بالإسلام ولا بقاء للإسلام إلا بالتربية والتعليم، ونشير هنا إلى البند الأول من قانون الجمعية الذي ينص على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية عربية تحفظ عليهم دينهم ولغتهم وشخصيتهم، وتهذب أخلاقهم وتثقف أفكارهم رأي ابن باديس في إقرار التربية للجميع مستمد من الإسلام الذي يدعوا إلى طلب العلم.

وبين ابن باديس في كتاب التفسير أن الخلق القويم لا بد أن يكون نتيجة تطابق مع الظاهر، لذلك وجد من أجل ضمان الوصول إلى الأهداف التي أشرنا إليها فيما سبق هو العمل التربوي التعليمي، ولهذا ينبغي أن يتلاءم مع الوضع الخاص للجزائر، أي ضرورة إصلاح التعليم مع إدخال تغييرات منهجية في بنية المؤسسات التربوية، من ناحية البرامج والأساتذة والمراكز لكي تستطيع التربية الإسلامية الحديثة التكيف مع وطن يئن تحت وطأة الاحتلال، ونصل إلى نهضة جديدة قابلة لمواجهة غرب متقدم علينا في كل الميادين، لذلك وجه

ابن باديس دعوة سنة 1937م إلى كافة المدرسين العاملين في مدارس جمعية العلماء لعقد مؤتمر خاص بمناهج التربية والتعليم وقد انعقد بالفعل في نادي الترقى بالعاصمة يومي 22 و 23 سبتمبر 1937م، وحسب ما جاء في الدعوة التي نشرتها البصائر حدد ابن باديس هدف المؤتمر بالتوصل إلى توحيد مناهج التعليم العربي الحر في الجزائر¹. وناقش المؤتمر الموضوعات الهامة التالية:

- توحيد التعليم وأسلوب التعليم والتربية مع خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم والكتب (كتب من المشرق أو تأليف كتب جزائرية تتفق مع الروح الجزائرية، أو استعمال الطريقتين معا) ورأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه والتعليم في المساجد ووسائل تنظيمه وترقيته.

وكأن ابن باديس يتكلم عن واقع اليوم وما آل اليه حالنا من تهميش للعلم والعلماء ، فعصف بنا التخلف و أصبحت الهوة بيننا وبين الغرب فسيحة جدا من فرط اهتمامهم بالعلم والعلماء في حين تخلى مجتمعنا عن ذلك.

وكان ابن باديس قد وجه اقتراحات إلى لجنة إصلاح التعليم التي شكلها باي تونس سنة 1931م بهدف تعديل مناهج التعليم في جامع الزيتونة و الخروج من طابع التقليد الساذج الى طابع التفكير الحيوي وهو منهج لاحظ به ابن باديس عندما كان فيه طالبا للعلم والمعرفة، وهذا ما فعله مُجدَّ عبده

¹-مجد طهاري: حركة الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص24، 25.

بالنسبة للأزهر، بالإضافة إلى هذه الاقتراحات كان ابن باديس يلح دائما على ضرورة صلاح العلماء، لأن فساد هؤلاء أخطر بكثير من تخلف وسائل التدريس أو ضعف مناهج التربية. لذلك كان يقول باستمرار: ((لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل هذا على يد علمائهم فإذا كان علماءهم أهل الجمود في العلم وابتداع في العلم وكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم ولن يصلح العلماء إلا إذا أصلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع شخصية المتعلم بالطابع الذي كونه عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فصلح التعليم))¹. ومن هنا يتبين أن لا تكوين ولا أعداد في نظر جمعية العلماء المسلمين إلا بمنهج علمي.

وخلاصة القول يظهر أن ابن باديس يركز على توافق العلم مع العالم والتعليم، وانطلاقا من هذه المعادلة الصعبة. حاول أن يقدم نفسه نموذجا لهذا المنهج التربوي من خلال جهوده في التعليم والتوجيه التربوي، ومن خلال أيضا المساجد والصحافة، وهما أداة العمل الهامة الذي كرس ابن باديس حياته من أجله. ويظهر أن ابن باديس بجهوده التربوية الخاصة الخصبة المتواضعة قد

¹ - نقلا عن: محمد الطهاري: حركة الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 25-26.

شكل الممهد الإيديولوجي لثورة نوفمبر 1954م وانتصارها، وسواء سارت الجزائر على نهجه أو لا فإنه يبقى شخصية جزائرية جاهدت لزرع بذور المقاومة الوطنية. حيث يقول ((من راح يحول بيننا وبين فكرتنا التي نؤمن بها ويؤمن بها المؤمنون الصادقون، فقد حاول عبثا قلب الحقائق ونحن لذلك لا نتزحزح عن تلك الفكرة قيد شعرة، مهما طغى سبيل الكوارث على الأمة لما للشعب الجزائري من الصفات المرغوب فيها الكامنة كمون النار في كهرباء))¹.

وبناء على ما سبق فقد استنتجنا مفهوم التربية والتعليم، والعلاقة بينهما لكونها أهم عملية يقوم بها الفرد وذلك من أجل اكتساب المعارف والمهارات وتطوير وظائفها، ثم استنتجنا أهم الظروف التي ساهمت في تأسيس الجمعية والتي جاءت من أجل القضاء على سياسة الاستعمار، ثم ألقينا الضوء على المبادئ التربوية للجمعية والتي جعلت القرآن والسنة والسلف الصالح كمنهج لتربية الفرد، ثم تبين لنا أهداف الجمعية التي ترمي إليها، وهي إحياء اللغة العربية وتعليم الدين والمحافظة على الشخصية الجزائرية كوسيلة للتربية، وتحرير العقل من الجمود الفكري الى الحياة والابداع ، واتضح لنا أن الفكر التربوي عند الجمعية كان نابعا من خصوصيات المجتمع الجزائري والفكر الإسلامي.

¹ - نقلا عن :محمد طهاري : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 26.

رابعاً/ جمعية العلماء المسلمين و طرق التربية المعاصرة:

إن المنهاج التربوي هو ما تقدمه النظم التعليمية في إطار مؤسساتها التعليمية إلى المتعلمين، وفقاً لبيداغوجيا للوصول إلى بناء الفرد الصالح القادر على المساهمة بإيجابية وفعالية في ترقية الحياة.

ولتحقيق هذا الغرض بذل القائمون على التربية والتعليم كل ما في وسعهم عبر التاريخ، من أجل خلق أفضل الطرق والأساليب التربوية المستجيب لغايات ومرامي المجتمع وذلك من خلال اقتراح بيداغوجيا الأهداف التربوية وبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، وهذه المخطات هي موضوع كتابنا هذا الذي تطرقنا فيه بالشرح التفصيلي لهذه البيداغوجيات من خلال الرجوع لسياقهما التاريخي والعلمي وحتمية ظهورها.

1/ طريقة التدريس بالأهداف التربوية:

أ-السياق التاريخي والعلمي للأهداف التربوية:

انطلاقا من التطورات الكبرى التي شهدتها التربية عبر تاريخها الطويل، وذلك باعتبار أن الهدف من التربية التراكم المعرفي من أجل التكديس والاستظهار فالتربية خلال هذه المرحلة كانت تعني تجميع المعارف وتخزينها في الذاكرة والهدف من ذلك هو اكتساب مهارة الاسترجاع في الأوقات التي تستدعي ذلك.

لهذا كانت التربية تعتمد على التلقين كأسلوب تدريس، ففي التلقين هو الإلقاء من طرف المعلم والاستظهار هو دور التلميذ، وهذا الأخير يتطلب كم كبيرا من المعارف، وهذا الأمر جعل التوفيق بين تدريس الإلقاء والاستظهار التخزين والاسترجاع كبيرا جدا. فالتلميذ ضمن هذا المنظور التربوي يقتصر دوره على الاستماع والالتقاط والتخزين والترديد، وهذا ما يعرف بالتدريس بالمحتويات إلى حين ظهور بيداغوجيا الأهداف التربوية، كتقنيات ينبغي الاعتماد عليها في العمل التربوي. فما هي الفائدة التي يمكن أن نجنيها من اتباع تقنية الأهداف التربوية وهل ظهور تقنية المقاربة بالكفاءات مكملة للأهداف أم تلغيها. وهل هذه الطرق غريبة أم أنها كانت ضمنية في المنهج التربوي عند جمعية العلماء المسلمين ؟

- بيداغوجيا الأهداف التربوية تنبذ العموم والغموض والارتجال بحيث أنها تتوخى الدقة في تحديد مستويات الأهداف من العام إلى الخاص، حتى تصل إلى أدق مستوياته والتي تظهر في شكل سلوكيات عملية يقوم بها التلاميذ¹.

وترتكز طريقة الأهداف على تنمية القدرات والمهارات وتكوين المواقف لدى التلاميذ، والاهتمام الكبير بمستوى الأداء الذي يقوم به التلاميذ في مساره الدراسي، وتجعل المعلم يشعر بقيمة التخطيط لعمله لأنه محور العملية التربوية وهو مصدر المعرفة الأساسي بالنسبة للتلميذ.

إن التعليم بواسطة الأهداف التربوية يسير بالتعليم والتعلم من الأهداف إلى التقييم، يعني النتائج عن طريق المضامين والطرائق و الوسائل.

ولتحقيق كل هذا وجب على الأهداف التربوية أن تستوعب ما يلي²:

- إعطاء الأولوية للعقلنة.
- الثقة في النمو التكنولوجي.
- إعطاء الأولوية للتنظيم.
- التخصيص في المهام و الوظائف.
- البحث عن التجديد و الفاعلية.

¹ - خير الدين هني: تقنيات التدريس، ط1، دار مدني للطباعة والنشر، 1998، ص203، 204.
² - الخميس زرواق: الأنيس في فن التدريس، ط2، المؤسسة الوطنية المطبعية وحدة الرعاية. الجزائر، 2000 ص2.

- الرفع الأقصى للمردودية.

- تجميع الوقت ووضعه في الاعتبار.

ب-الخلفية العلمية لبيداغوجيا الأهداف التربوية:

إن بيداغوجيا الأهداف مثلت في بدايتها اتجاهها ربويا أمريكيا بالدرجة الأولى، فمعظم المؤسسين لهذه البيداغوجيا ظهوروا في المجتمع الأمريكي في النصف الأول من القرن الحالي، ومن أهم هؤلاء المؤسسين نذكر على سبيل المثال: رالف تايلر (Ralph Tyler)* وبنجامين بلوم (Benjamin Bloom)**، وثورندايك (Thorndike)*** وغيرهم الكير .

- مبادئ عملية التعليم:

بيداغوجيا الأهداف تتصور أن عملية التعليم تقوم على مبادئ هي:

- يقوم كل من المدرس والمدرس بتخطيط وضعية التعلم تخطيطا تاما سواء تعلق الأمر بالأهداف أو الاستراتيجية، ومن ثم فإن وظيفته تقتضي القيام بالمهام التالية:

* - رالف تايلر (Ralph Tyler) (1902-1994): مفكر أمريكي عمل في مجال التقييم والتقارير واهتم بتحليل و تفسير البرنامج التعليمي.

** - بنجامين بلوم (Benjamin Bloom) (1912-1999): عالم تربوي أمريكي من مؤلفاته تطبيق الأهداف التعليمية.

*** - ثورندايك (Thorndike) (1874-1952): عالم نفسي أمريكي اهتم بالتربية من مؤلفاته كتاب علم النفس التربوي.

- يصوغ المعلم أهداف الوضعية التعليمية ويحددها تحديدا سلوكيا يراعي فيها قابلية السلوك المستهدف للملاحظة والقياس، ثم يختار الوسائل والأدوات الملائمة لبلوغ تلك الأهداف والإشراف على استعمالها في إطار وضعية التعلم وبعد يحكم على مدى تمكن المتعلم من السلوك المطلوب بواسطة مقاييس يحددها بشكل مسبق، ويعتبر حكمه بمثابة مؤشر يعتمد عليه التلميذ في تصحيح وتعديل إنجاز سلوكه، وعليه يقوم المعلم بتنفيذ الخطة التي صممها المدرس سعيا وراء اكتساب السلوك المحدد سابقا¹.

- وظيفة التلميذ:

تقتصر وظيفة التلميذ على التلقي الذي يتجلى في:

- إقباله على التعلم واستعداده لتنفيذ أنشطته المختلفة، وتنفيذه لتوجيهات المحرب أو المدرس خلال وأثناء سيورة التعلم، ثم برهنته في نهاية السيورة على مدى امتلاكه أو اكتسابه للسلوك المرغوب فيه من خلال القيام بإنجازات قابلة للملاحظة والقياس، فالوضع التجريبي الذي تقوم عليه السلوكية والوضعية التعليمية التعليمية التي يصممها المدرس المتبني لبيداغوجيا الأهداف يجعلان من المتعلم ذاتا منفعة تتلقى المعارف، أو تكوين المهارات بفعل تأثير خارجي.-
مثير- استجابة تتجلى في التأثير الذي يصممه ويمارسه المدرس في وضعية تعليمية محددة، ومن هنا يبدو أن كلا من السلوكية وبيداغوجيا الأهداف

¹ - عبدالكريم غريب وعبدالرحيم دحو: درسنا اليوم، ط2، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1990، ص74، 75.

تعتمدان على تصور محدد لعملية التعلم مفاده أن ((تعلم المعرفة يتم في إطار الذات والمحيط ويلعب المحيط الدور الحاسم والأساس في هذا التعلم فالذات تتلقى المعرفة من خلال تأثير المحيط الخارجي دون أن يكون للذات في ذلك دور فعال))¹، وإذا كانت السلوكية قد فسرت التعلم من خلال قوانين استقرأت من تجاربها العديدة، وأعطت الأولوية القصوى في هذا التفسير لتأثيرات المحيط الخارجي "مثيرات" فإن بيداغوجيا الأهداف قد تبنت نفس الموقف بحيث أنها قد نظمت الوضعيات التعليمية بصورة تجعل التلميذ شخصا منفعلا يعتمد في تعليمه بشكل واضح على ما يتلقاه من الخارج في شكل مثيرات، ينظمها ويقدمها المدرس بالدرجة الأولى، وإذا كانت السلوكية قد اهتمت بتكوين عادات معينة ومضبوطة على شكل سلوكيات ملاحظة سميتها استجابة، فإن بيداغوجيا الأهداف بدورها قد اهتمت بتحقيق سلوكيات مضبوطة على شكل انجازات قابلة للملاحظة والقياس الكمي².

ج-الفرق بين التعليم بواسطة المضامين والتعليم بواسطة الأهداف:

توجد صعوبة كبيرة لدى المعلمين في التمييز بين التعليم بواسطة المضامين والتعليم بواسطة الأهداف، وهو ما جعل الكثير منهم يظهر امتعاضه وتبرمه مما يقال عن محاسن التعليم بواسطة الأهداف، فذلك في نظرهم ليس إلا اجترار للتعليم بواسطة المضامين، وأن هذا النموذج هو نفسه ما كانوا يعملون به من

¹ - عبدالكريم غريب وعبدالرحيم دحو: درسنا اليوم، ص75.

² - نفسه، ص77.

قبل مع تغيير التسميات فقط. وهو ما سيقال عن طريقة المقاربة بالكفاءات وهذا لعدم وعي المعلم بهذه الطرق والتعمق فيها ولو تتبعنا خطابات عبد الحميد بن باديس - والتي ذكرها سابقا - سيتبين لنا انه يختار لكل موضع طريقة خاصة به وسنوضح هذا الأمر لاحقا أيضا إن شاء الله.

- التعليم بواسطة المضامين:

ويتميز بما يلي:

أنه يحدد التعليم في ثلاثة مستويات فقط هي:

- الغايات - الأهداف العامة - الأهداف الخاصة

/ أنه يعتبر المعارف وسيلة لتنمية القدرات والمهارات.

/ أنه يركز على اكتساب الخبرات في التعليم.

/ أنه يركز على مبادئ عامة لا تخضع لمعايير دقيقة.

/ الاختبارات والامتحانات كأدوات للتقويم تركز على التراكم المعرفي وتعتمد على الأساليب التقليدية كـمقياس النجاح.

د- التعليم بواسطة الأهداف:

يتميز بما يلي:

يقوم سيرورة التعليم والتعلم من الأهداف إلى التقويم ويحدد الأهداف في خمسة مستويات، ويركز كثيرا على الأهداف السلوكية بوصفها مؤشرا على النجاح الآني الذي ينمي القدرات والمهارات والمواقف على المدين المتوسط والبعيد ويعتمد على حسن التخطيط وضرورة الاهتمام بما يفعله التلميذ، ويستند على التقويم كأداة فعالة في الفعل التعليمي، كما ينظر إلى الاختبارات والامتحانات كأدوات لتقويم الأداء الجيد للتلميذ¹.

ومنه يتبين أن التعليم بواسطة الأهداف هو تعبير صريح عن تغيرات سلوكية مراد تحقيقها على شتى المستويات المعرفية والوجدانية والحسية والحركية، أو النتائج المنتظرة عند التلميذ أثناء أو في نهاية التعلم لكن الواقع يبين أن المعلومة في هذه الطرق التربوية بقيت نظرية و تجاهلت الطابع العملي.

2/ تعريف الأهداف التربوية وشروط صياغتها:

أ- تعريف الأهداف التربوية:

-المهدف التربوي: وصف للسلوك المتوقع من التعلم نتيجة لاحتكاكه بمواقف التعلم، وهو عبارات تصف النتيجة المنتظرة في نهاية العملية، وهذه العملية يمكن أن تكون نشاطا أو درسا أو مجموعة دروس أو فترة تكوينية². ومنه نستطيع القول أنه عبارة دقيقة تجيب على السؤال التالي: ما الذي يجب على

¹ - خير الدين هني: تقنيات التدريس، ص227، 228.

² - جحيش جميلة: الكتاب السنوي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2001، ص8.

الطالب أن يكون قادرا على عمله ليدل على أنه قد تعلم ما تريده أن يتعلم إذا هو تغير المرغوب المتوقع حدوثه في سلوك المتعلم والذي يمكن تعويمه بعد مرور المتعلم بخبرة تعليمية معينة.

الهدف هو وصف لمجموعة من السلوكيات أو الانجازات التي سيرهن المتعلم من خلال القيام بها على قدراته.

- الهدف هو ما ينبغي أن يعرفه التلميذ أو يكون قادرا على فعله أو تفضيله أو اعتقاده عند نهاية تعليم معين، إنه يتعلق بتغيير يريد المدرس إحداثه لدى التلميذ والذي سيوصف بصيغة سلوك مقياس¹.

- الهدف عبارة عن صياغات صريحة للتغيرات التي نود إثارتها لدى التلميذ خلال العملية التربوية. وبهذا يصبح سلوك نموذجي مرغوب فيه ومعبّر عنه بألفاظ سلوكية قابلة للملاحظة والقياس².

فالهدف التربوي بهذا المعنى هو مجموعة من التغيرات والسلوكيات التي سيرهن عليها التلميذ عندما ينهي متابعته التعليمية ويكون قابلا للملاحظة والقياس والملاحظ هنا أن التلميذ فوفق هذه الطريقة أصبح مبرمجا.

¹ - الخميس زرواق: الأنيس في فن التدريس، ص7.

² - خير الدين هني: تقنيات التدريس، ص211.

ب- تعريف بيداغوجيا الأهداف: هي عبارة عن عملية تعليمية تنطلق من أهداف محددة يتم تحقيقها من خلال تخطيط المدرس لعمله من خلال اتخاذ قرارات متعددة منها:

- يختار المعلم محتوى المادة ويوظف طرق وأساليب معينة، ومنه يحكم على مردودية التلاميذ، ولكي تكون هذه القرارات والإجراءات مبنية على أسس متينة ودقيقة، فإنه من اللازم والواجب الانطلاق من أهداف محددة¹.

ج- شروط صياغة الأهداف التربوية:

يجب أن تتميز الأهداف التربوية بما يلي:

-الوضوح : يجب أن تكون الأهداف العامة والخاصة للمنهج محددة تحديدا واضحا بحيث لا يكون هناك اختلاف في تفسيرها، ومن ثم في اختيار الخبرات أو المحتويات التي تتحقق من خلالها.

ويكون الهدف الخاص واضحا و محددا إذا توافرت فيه الشروط التالية:

- يمكن ملاحظته في أثناء تحقيقه وفي نتائجه لكي نستطيع تحقيق عملية القياس، لأن ذلك يساعد على قياس مدى تحقيقه أو مدى تعلم التلميذ وتعديل سلوكه، ويجب أن يتضمن الهدف التدريسي الخاص ما يعرف بالحد

¹ - وزارة التربية الوطنية: النظام التربوي والمناهج التعليمية، د.ط، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية، د.ت، ص142.

الأدنى للأداء، حيث أن ذلك يساعد في قياس مدى تعلم التلميذ ومدى تحقق الهدف فيه.

الشمول: يعني هذا أن يتناول الهدف كل جوانب الحياة الخاصة بمجتمع معين.

التكامل: إن تكامل أهداف منهج التربية يعتمد على أساسين هما: تكامل جوانب النفس الإنسانية فالأهداف يجب ألا تركز على العقل دون الجسم أو الشعور والوجدان أو العكس، لأن في ذلك إحداث الخلل وعدم التوازن في النفس أو شخصية الإنسان عموماً. و تكامل جوانب المعرفة الإنسانية وهذا يتطلب أن تكون أهداف منهج التربية مشتملة على الجانب المعرفي في الخبرة الإنسانية، وعلى الجانب الوجداني وعلى الجانب الحركي.

ويجب أن تكون الأهداف التربوية متنوعة فلا تقتصر على طريقة أو أسلوب دون آخر، وتتسم الطرق بالناحية الاستقصائية وحل المشكلات، وتراعي الأهداف التربوية الفروق الفردية وتكون ذات مستويات ومنه تشمل على نشاط عملي يمكن قياسه وملاحظته، ويجب أن تكون الأهداف مرتبطة بموضوع الدرس¹، ويكون الهدف عبارة عن سلوك يعكس ناتج التعلم وليس عملية التعلم، ويجب أيضاً أن نذكر المعايير التي ستقوم من خلالها نتيجة المتعلم، وأن يصاغ بعبارة واضحة غير قابلة للتأويل تضمن التواصل والتفاهم

¹ - وزارة التربية الوطنية: بيداغوجيا، ص3.

بين المعلم والمتعلم، وتوضح العملية أو الكفاءة أو القدرة التي تكون لدى المتعلم خلال الحصة أو في نهايتها قادرا على القيام بها أو عملها¹.

3/ مستويات الأهداف التربوية و تصنيفها:

أ- **الغايات:** هي مبادئ وقيم عليا توحى بفلسفة التربية وتوجهات السياسة التعليمية العامة، وهي مرتبطة بنوع السلطة القائمة وعلاقتها بالمجتمع بالإضافة إلى ذلك فإنها تتأثر بالمقومات الفلسفية والدينية والأخلاقية للمجتمع، وتتأثر بماضيه التاريخي وبيئته الجغرافية والطبيعية التي تميزه عن غايات مجتمع آخر ومن هنا فهي تتميز بالتعقيد.

ب- **المرامي:** هي غايات تحولت لتصبح مرتبطة بتنظيم السياسة التعليمية بمحتوياتها ومقرراتها ومستوياتها وأسلاكها، ولكي تكون المرامي منسجمة مع الغايات التربوية يتطلب ما يلي:

- **القيمة التسلسلية:** أن تكون مترابطة فيما بينها ويجب أن لا يكون وضعها تلفيقيا واعتباطيا ، ويجب أن تتلاءم مع مبادئ علم النفس التربوي و مع تفتح المتعلم و ميولاته.

- **المجال:** مدى علاقة المرامي بمعارف المتعلم ومهاراته وجميع مكتسباته السابقة.

¹ - الخميس زرواق: الأنيس في فن التدريس، ص36.

- **القبولية:** ما تتطلبه هذه المرامي من وقت وأطر ومؤسسات وتجهيزات لإنجازها.

- **القبولية العاطفية:** قبول الجهات المعنية، المربون المتعلمون الأولياء بأهمية هذه المرامي المحددة.

- **القبولية المادية :** مدى تلاءم هذه المرامي مع الوسائل والإمكانات المادية المتوفرة¹.

- **المستوى العام:** تتميز الاهداف العامة بالتجريد والعمومية بحيث تترجم القدرات والمهارات والمواقف التي نريد أن يكتسبها التلميذ من التعلم، أي النتائج المنتظرة من مقرر دراسي كامل أو مرحلة تعليمية معينة، كما تسمح لنا الأهداف العامة بحصر تفكيرنا في فعل التعليم ونعرف ما نريد تحقيقه بالمقرر الدراسي ونحدد المدى الزمني لتحقيقه، وتمسح لنا بأن نتنبأ بالكفاءة أو القدرة العامة التي سيكتسبها، وتقاس على صعيد تغير في شخصية المتعلم في نهاية سلسلة من الدروس، كما تسمح لنا بوضع اختبارات ملائمة للتحقق من اكتساب المتعلم لتلك القدرة أو الكفاءة سواء كان ذلك في دورة دراسية أو في نهاية سلك من التعليم، وتسمح لنا بصياغة نوع آخر من الأهداف.

إذن الأهداف العامة عبارة عن وصف للنتيجة الفعلية التي يحققها جزء من المقرر أو جزء من البرنامج خلال فترة زمنية محددة.

¹ - الخميس زروق: الأنيس في فن التدريس، ص9.10.

ج- الأهداف الخاصة :

هو المستوى الذي يهتم المعلم لكونه هو الذي يحدد أهدافه الخاصة من الدروس التي ينجزها مع متعلميه، إذن الهدف الخاص محدد محتوى معين: محور- موضوع. ((وهو تجزئ للهدف العام يسمح بالتأكد من تحقيقه، الأهداف الخاصة هي أجزاء للقدرة التي يحددها الهدف العام))¹.

د- الأهداف الإجرائية:

وهو ما يمكن قياسه وملاحظته جزئيا ويصاغ هذا النوع من الأهداف عادة وفقا للمعادلة التالية:

أن فعل سلوكي + المعلم + مصطلح من المادة + الحد الأدنى للأداء كقولك: أن يقرأ التلميذ الفقرة الأولى من الدرس قراءة جهرية بما لا يتجاوز ثلاثة أخطاء نحوية، وهكذا نرى أن هذا النوع من الأهداف لا يصاغ إلا لدرس معين أو لعنصر من درس².

فالأهداف الإجرائية إذن عبارة عن الإنجاز الذي سيقوم به التلميذ، وهو قابل للملاحظة والقياس وخاضع لشروط مطلوبة ومعايير محددة.

¹ - الخميس زرواق: الأنيس في فن التدريس، ص11.

² - جحيش جميلة: الكتاب السنوي، ص10.

4/مجالات الأهداف التربوية:

قدم بلوم وزملاؤه تصنيفا للأهداف التعليمية في مجالات ثلاثة هي:

أ- المجال المعرفي: طور بلوم وزملائه عام 1956م تصنيفا للأهداف في المجال المعرفي، والتصنيف، وهو عبارة عن ترتيب لمستويات سلوك التعلم أو الأداء في تسلسل تصاعدي من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى. " ويحتوي المثال المعرفي على ستة مستويات تبدأ بالقدرات العقلية البسيطة وتنتهي بالمستويات الأكثر تعقيدا"¹.

وفيما يلي مستويات المجال المعرفي وتعريف لكل مستوى:

- المعرفة: ويقصد بها تذكر المعارف التي سبق تعلمها، ويتضمن هذا المستوى معرفة ما يلي: المصطلحات الشائعة وحقائق معينة خصوصية، والطرق والخطوات، المفاهيم الأساسية، المبادئ والأسس، وفي هذا المستوى يصبح المتعلم قادرا على أن يعرف ويصف ويحدد، يقابل، ينسب، ويخطط.

-الفهم: هو إدراك والاستيعاب المادة أو الموقف، وبعبارة أخرى هو القدرة على إدراك المعاني، ويتضمن هذا المستوى ما يلي: استيعاب الحقائق والأسس، تفسير المواد اللفظية، تفسير الخرائط والرسوم، وفي هذا المستوى يتمكن المتعلم من أن ينفذ، يستوعب يحول يميز، يشرح، يعيد صياغة، يلخص.

¹ - وزارة التربية الوطنية: بيداغوجيات، ص20.

-التطبيق: هو عملية استدعاء المعلومات أو التعرف عليها ثم استيعابها واستخدامها في مواقف واقعية جديدة، ويتضمن هذا المستوى تطبيق القوانين والنظريات على مواقف معينة، حل مشكلات رياضية، إنشاء خرائط.

وفي هذا المستوى يتمكن المتعلم من أن يغير، يحسب، يعرض، يكتشف، يجرب، يعد، ينتج، يحل، يستخدم، ينشئ، يطبق.

التحليل: هو القدرة على تفكيك المادة إلى مكوناتها وأجزائها من أجل فهم بنائها التنظيمي التركيبي، وتتضمن القدرة على تحليل الجوانب الآتية: التمييز بين الأقوال المنطوية على حقائق والأقوال المنطوية على معايير، تحليل العلاقات المتبادلة بين عدد من الأفكار الرئيسية في موضوع تحليل المبادئ التنظيمية، ويتمكن المتعلم في هذا المستوى من أن يفكك و يفرق و يميز.

-التركيب : عملية ربط الأجزاء والعناصر معا بطريقة تجعلها تكون نطا جديدا وتركيبا لم يكن موجودا من قبل، ويتمكن المتعلم في هذا المستوى من أن يصنف و يربط، يؤلف و يصمم.

-التقييم: هو إصدار أحكام حول قيم الأفكار أو الأعمال أو الوسائل أو الحلول وتكون لغرض معين وعلى ضوء معيار معين، وقد تكون هذه الأحكام كمية أو نوعية، ويراعى في التقييم المعايير الصحيحة من دقة وفعالية

وموضوعية، وهذه المعايير إما أن تكون داخلية "ذاتية" خاصة بالمتعلم أو خارجية "موضوعية" صادرة من مصدر آخر¹.

ومنه يتبين لنا أن المجال المعرفي يحتوي على القدرات العقلية، الذكاء والتذكر والتفكير والانتباه والتحليل، ومنه يعني هذا المجال بالمعلومات وتنمية الملكات العقلية والعمليات الذهنية.

ب-المجال النفسي الحركي:

ويشير هذا المجال إلى المهارات التي تتطلب التنسيق بين عضلات الجسم كما في الأنشطة الرياضية للقيام بأداء معين، وفي هذا المجال لا يوجد تصنيف متفق عليه بشكل واسع كما هو الحال في تصنيف الأهداف المعرفية، ويتكون هذا المجال من المستويات التالية:

-**الاستقبال:** ويتضمن عملية الإدراك الحسي والإحساس العضوي التي تؤدي إلى النشاط الحركي.

-**التهيئة :** هي الاستعداد والتهيئة الفعلية لأداء سلوك معين، ثم تأتي الاستجابة الموجهة.

-**الاستجابة الموجهة:** ويتصل هذا المستوى بالتقليد والمحاولة والخطأ في ضوء معيار أو حكم أو محك معين، و بعدها.

¹ - جيش جميلة: الكتاب السنوي، ص11،13.

-الاستجابة الميكانيكية : وهي مستوى خاص بالأداء بعد تعلم المهارة بدقة وبراعة.

-الاستجابة المركبة : تضمن الأداء للمهارات المركبة بدقة وسرعة.

-التكييف: وهو مستوى خاص بالمهارات التي يطورها الفرد ويقدم نماذج مختلفة لها تبعا للموقف الذي يواجهه.

-التنظيم والابتكار: مستوى يرتبط بعملية الإبداع والتنظيم والتطوير لمهارات حركية جديدة¹.

ومن خلال ما تضمنه هذا المجال من مستويات اتضح لنا أنه مجال يمثل المهارات الحسية الحركية التي يستطيع الإنسان أن يعالجها أو ينسقها أو يبدعها أو يقلدها، وبهذا المنطلق يصبح المجال النفسي الحركي هو عبارة عن قدرات حركية حسية تعبير عن النشاط النفسي البشري.

ج- المجال الوجداني العاطفي:

ويتعلق بمواقف ومبادئ سيحس أو سيلتزم بها، أو سيعتنقها المتعلم، فالرغبة كما بين هوسرل توجه العقل والحواس نحو الفهم ، ويتكون من:

-الاستقبال أو التقبل: وهو الانتباه إلى المثيرات في محيطه البيئي، الشعور بإرادة الاستقبال أي الاهتمام بالشئ انتباه موجه.

¹ - وزارة التربية الوطنية: بيداغوجيات، ص22.

-**الاستجابة:** هي التي تعقب الانتباه تجاوز حالات الاتجاه بمثير القبول إرادة الاستجابة والإجابة استجابة مصحوبة بالمتعة.

-**التقدير:** إعطاء قيمة التثمين أو الحكم إظهار سلوك ثابت متماسك، قبول القيمة، الميل إلى قيمة معينة أو تفضيلها، الالتزام، التشبث بقيمة.

-**التنظيم:** أي ترتيب القيم فهو جمع أكثر من قيمة وحل المتناقضات بينها وبناء قيمي يتصف بالاتساق، وإدراك قيمة تنظيم جملة من القيم مثل الحرية و الديمقراطية.

-**التشخيص أو التقمص:** المقصود به أن القيم لها نظام خاص متماسك ومنظم لسلوك الفرد بصفة دائمة، ويقوم بالتوحيد بين القيم والسلوك.

ومنه فإن المجال الوجداني العاطفي هو مجال يشمل الاتجاهات والأسس والمبادئ والانفعالات والميول والمواقف اتجاه ظواهر الأشياء التي يحسها و يعتقدها، ولا يمكن الاستهانة بهذا الجانب في العملية التربوية لأن العقل قد يتحول الى آلة في يد العاطفة تفعل به ما تشاء.

5/ مبادئ و مميزات التدريس بطريقة الأهداف التربوية:

للتدريس بالأهداف ميزات و فوائد يمكن إجمالها فيما يلي:

يستخدمها المعلم كدليل على تخطيطه للدرس: أي أنها تجزئة للهدف الخاص وتحضير له، وتساعد على تطبيق الأهداف العامة للمنهج الدراسي "هدف

عام، مرمى، غاية" تجزئ المادة الدراسية وتمكن من توضيحها وتدريسها بفعالية ونشاط، تصنيف التغيرات المراد إحداثها أو إثارتها أو تنميتها عند المتعلم، أي الكفاءات، القدرات، والمهارات حسب المجالات، عقلي، حسي حركي وجداني، وهي تسهيل عملية التعلم، حيث يعرف المتعلمون ما يطلب منهم أو ما يتوقع منه القيام به، وذلك لوضوح الهدف وإعلانه¹.

وساهمت طريقة التدريس بالأهداف في بناء المناهج التعليمية وتطويرها، واختيار الوسائل والتسهيلات والأنشطة والخبرات التعليمية المناسبة لتنفيذ المناهج، وساهمت أيضا في تطوير الكتب الدراسية وكتب المعلم المصاحبة لتلك الكتب، كما ساعدت في توجيه وتطوير برامج إعداد وتدريب المعلمين خاصة تلك البرامج القائمة على الكفايات التعليمية، وتوفر إطارا تنظيميا يسير عملية استقبال المعلومات الجديدة من قبل التلاميذ فتصبح المادة مترابطة وذات معنى مما يساعد على تذكرها، وتساهم الأهداف السلوكية في تسليط الضوء على المفاهيم والحقائق والمعلومات الهامة، التي تكون هيكل الموضوعات الدراسية وترك التفاصيل والمعلومات الغير هامة التي قد يلجأ الطالب إلى دراستها وحفظها جهلا منه بما هو مهم وما هو أقل أهمية، كما تساهم في توجيه وتطوير برامج إعداد وتدريب المعلمين خاصة تلك البرامج القائمة على الكفايات التعليمية².

¹ - الخميس زرواق: الأنيس في فن التدريس، ص29.

² - وزارة التربية الوطنية: بيداغوجيات، ص25، 27.

6/ طرق وأساليب التقويم:

يعتبر التقويم من العناصر الضرورية للعملية التربوية وفيما يلي الفرق بين التقييم والتقويم:

أ- الفرق بين التقييم و التقويم:

-**التقييم:** هو عملية إصدار الحكم بصيغة كمية أو كيفية، دون التطرق إلى الأسباب التي أدت إلى نجاح التعزيز، أو التي أدت إلى إخفاقها لتجنبها، أما **التقويم:** فهو عملية تشخيص وعلاج لموقف التعلم، أو أحد جوانبه أو للمنهج كله. وفي ضوء الأهداف التربوية المنشودة، وكذلك تحديد نقاط القوة أو الضعف لبناء الخطط التعليمية، هناك أنواع للتقويم تمر بها العملية التعليمية منذ بدايتها حتى مراحلها الأخيرة.

ب- أنواع التقويم: يتم التقويم عبر ثلاث مراحل هي:

- **التقويم التشخيصي :** يتم هذا النوع قبل البدء في التعلم ويحقق أغراض مهمة للمعلم وتتمثل في تحديد المستوى المبدئي للتلاميذ، أي ما يعرفه المتعلمون وما لا يعرفونه من الموضوعات الخاصة بالتعلم، ومعرفة مدى حب التلاميذ للموضوع أو ميلهم إليه، وتساعد على التخطيط الجيد للأنشطة ومعرفة مستوى تحصيلهم السابق، ومعرفة النقاط التي يجب التركيز عليها لرفع مستواهم فتكون ارضية صلبة للمعلم كي ينطلق في درسه.

فإذا استطاع المدرس من أن يستخدم هذا النوع من التقويم بصورة سليمة، فإنه بإمكانه التأثير بشكل إيجابي في كفاءة العملية التعليمية وفي فاعلية تعلم المتعلمين¹.

-التقويم التكويني: هي عملية مستمرة تجري على شكل نشاطات وتمارين مدمجة ضمن سير الدروس، وموجهه إلى تحقيق أهداف تربوية مصاغة على شكل أهداف إجرائية، ويكون التقويم التكويني في صميم سيرورة التعليم ويسمح للمعلم بتشخيص العقبات التي يصادفها المتعلم، وتوجيه وقياس وتنظيم سيرورة التعليم، ويقوم كذلك بتسهيل وتكييف الأفعال البيداغوجية مع القدرات الحقيقية للمتعلمين وتقديمهم، وتوقع نشاطات استدراكية بالمقابل لسد الثغرات². و يحدد أخطاء التلاميذ ومستوى تحصيلهم، بالإضافة إلى تحديد معرفة مدى نطق الأهداف السابقة، وما يجب على كل من المعلم والتلميذ فعله. و يمكن تسمية هذا بالتغذية الراجعة إذا تبين لكل من المدرس والمتعلم جوانب القوة والضعف، فيحدد كل منهما الطرق والأساليب التي يمكن أن يستخدمها في تعديل الأهداف

-التقويم التحصيلي: يعتمد على هذا النوع في تقييم التلاميذ ويحدث هذا النوع من التقييم بعد الانتهاء من دراسة المنهج المقرر، أو الوحدة وهو يستهدف الحصول على تقدير عام لتحصيل التلاميذ وتحديد مدى مستوياتهم

¹ - جيش جميلة: الكتاب السنوي، ص51-52.

² - الخميس زروق: الأنيس في فن التدريس، ص58-59.

النهائية وهو يخدم أغراض كـتقدير مدى تحصيل التلاميذ ومدى تحقيقهم لأهداف المناهج، وتزويد المعلمين بأساس لوضع الدرجات أو التقديرات بطريقة موضوعية وعادلة، وكذلك تزويد المدرسين والإدارة أو القائمين على العملية التعليمية عموماً بالبيانات التي على أساسها ينتقل التلميذ من صف إلى آخر، ويضعونهم حسب درجات تقدمهم¹.

ج- أدوات التقييم :

مما سبق يتضح أن التقييم يتناول كل الجوانب التي ترتبط بالعملية التربوية فلا يترك شيئاً بها إلا وتناوله وأصدر حكماً عليه مهما كانت نتائجه، وهذا ما استدعى توظيف أدوات كثيرة تتلاءم مع طبيعة العمل الذي نريد تقويمه، لذلك يمكن توضيح هذه الأدوات كالتالي:

- الملاحظة الدقيقة:

تعتبر الملاحظة المستمرة لأعمال التلاميذ، ونشاطاتهم داخل القسم وخارجه وعلاقاتهم بزملائهم ومعلميهم ومدى استفادتهم من الخبرات والمعارف في سلوكياتهم، والملاحظة تأتي في مقدمة وسائل التقويم، لذلك لا يمكن إغفالها ويمكن استعمالها في المجالات التالية :

- أثناء المناقشة التي تتخلل الدروس والنشاطات.

¹ - جيش جميلة: الكتاب السنوي، ص54.

- في تعابيرهم وانجازاتهم العملية والقولية والسلوكية.
- في طريق تنظيمهم وترتيبهم للحقائق والأشياء.
- في إقدامهم على الفروض والاختبارات.
- الاختبارات والامتحانات: هي أهم أداة يعتمد عليها في تقييم أعمال التلاميذ ونشاطاتهم، ومدى التحكم في مكتسباتهم، وتنقسم إلى نوعين.
- الاختبارات الشفهية: تسمى بالفروض تتم في أوقات غير معلومة بهدف حثهم على مواصلة العمل والنشاط، غير أنها تحولت عن هذا الهدف وأصبحت في شكل كتابي ودوري مثل الاختبارات العادية قرب نهاية كل فصل.

- الاختبارات الكتابية : تنظم في نهاية كل فصل دراسي أو مرحلة علمية معينة وتقدم في شكل اختبار من نوع مقال - اختبارات مقننة - اختبارات تطبيقية. فاختبارات من نوع المقال تكون في شكل أسئلة مفتوحة يقوم فيها المتعلم بإنتاج جديد بالاعتماد على لغته وخبراته، ومكتسباته وتوظيفها في فهم وتحليل وتطبيق وتركيب وتقييم المطلوب، أما الاختبارات الموضوعية فهي تتميز بالأسئلة المغلقة أو المقننة وهو ما يستدعي إجابات موجزة مثل عملية تكملة- أو ترتيب عناصر- المقابلة أو التصنيف وفيما يختص الاختبارات التطبيقية ينجز هذا النوع من الاختبارات داخل المخبر أو الورشات، ويستعمل غالبا في

مراكز التكوين المهني فتكون في شكل إنجازات عملية كإجراء التجارب العلمية، وتنفيذ التصاميم¹.

7/ طريقة الأهداف في فضاء جمعية العلماء المسلمين:

لم تكن طريقة التدريس بالأهداف ببعيدة عن المنهج التربوي عند جمعية العلماء المسلمين لا على مستوى التنظير فحسب بل حتى على المستوى التطبيقي وما يؤكد ذلك قول ابن باديس في وصيته للمسلم الجزائري: «كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك»². ولنجعل نحن من هذا المقتبس مبدءا نعود إليه عند الخلاف في الحديث عن فكر ابن باديس , ومقدمة نستنبط منها ما يلي:

أ/ يلزم عن ذلك أن مجال التربية عنده يتسع ليشمل شخصية الفرد ككل متكامل تبعا لرأيه في طبيعة الإنسان كمحور للتربية، والعملية التربوية تستغرق الطفل و المدرسة و المجتمع. فإذا كانت هذه المؤسسات مستقيمة كانت أعمالنا مستقيمة. بمعنى أن التربية تنطلق من تسطير اهداف نظرية و تتحول الى هدف اجرائي سلوكي لدى الفرد وهذا لا يتأتى الا من خلال وعي الفرد للهدف وهو مطلب أساسي لطريقة التدريس بالأهداف.

¹ - خير الدين هني: تقنيات التدريس، ص 265-271.

² - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، ط 1، 1982، ص: 76.

ب/بناء على ما سلف سلك ابن باديس كل وسيلة متاحة يومئذ لبلوغ مراميه؛ أدرك خطورة وسائل الإعلام والصحافة باعتبارها وسيلة للتوعية، فأصدر جريدة المنتقد، والشرعية، والسنة، والصراط، والبصائر، والشهاب. وأنشأ المدارس والمعاهد كالجامع الأخضر، ومدرسة التربية والتعليم، ومعهد ابن باديس في قسنطينة، ودار الحديث في تلمسان. وقام بالوعظ والإرشاد بقصد الاتصال مباشرة مع الجماهير. وهذا تأكيد مرة أخرى أن جميع المؤسسات بما فيها وسائل الاتصال والمعاهد والمساجد مطالبة بتوحيد اهدافها ، لأن جميعا مؤسسات تربوية، وهذه الطريقة تعتبر من الطرق التربوية العالمية المعاصرة وهي وحدة الهدف، حتى يكون المجتمع على نفس السلوك، وهذا ما كان في فلسفة كانط التي تحاول تأسيس قانون تربوي واخلاقي كوني ونحن ندرك صدى الفلسفة التربوية الكانطية عالميا.

ج/فيما يتعلق بالمضامين أو المحتوى الذي يشكل مواد النشاط التعليمي كوجه من وجوه العملية التربوية، يرى ابن باديس أن المواد التي ينبغي إدراجها ضمن المنهاج التعليمي تتمثل في:

- دراسة القرآن والحديث وما يتصل بهما من علوم.

- دراسة العقائد والعلوم الشرعية.

- دراسة اللغة العربية.

- دراسة المواد الاجتماعية كالأخلاق والتاريخ والجغرافيا.

- دراسة المواد التي تنمي القدرة على الاستدلال بالمنطق و الحساب و الهندسة و الفلك وعلوم الطبيعة.

وهذه الاختيارات ليست اختيارات عشوائية بل اختيارات مدروسة وتبرير ذلك هو :

-إن إدراج المواد الثلاث الأولى نابع من موقف ابن باديس من مسألة الهوية الوطنية، ولنسمي ذلك من جهة أخرى حتمية تربوية في مواجهة سياسة فرنسا ذات الأربع زوايا: التفقير، التجهيل، التنصير، والفرنسة. ولأن النظام التربوي في كل مجتمع هو مرآة ثقافة هذا المجتمع. وعلينا اليوم ان نسير وفق هذا المنهج فتكون لنا سياسة تربوية نابعة من عمق مجتمعا وتحاكي ظروفنا ومطالبنا فاستيراد المناهج التربوية لن يكون حلا للنهوض بالتخلف الذي يعصف بنا أي نعم التفتح مطلوب لكن ليس لحد الانصهار في الآخر .

- لا يعني البتة ذلك الثبات للمحتوى التعليمي أن صاحبه يهمل اللغات الأجنبية، ولا تعني مقاومته للفرنسة رفض الفرنسية كلغة صانعة للحضارة يقول: في العدد 47 من مجلة الشهاب الصادرة في 16 أوت 1926: «إن الذي يحمل علم المدنية العصرية اليوم هو أوروبا، فضروري لكل أمة تريد أن تستثمر تلك العقول الناضجة وتكتنه دخائل الأحوال الجارية، أن تكون عالمة بلغات أوروبا، وكل أمة جهلت جميع اللغات الغربية، فإنها تبقى

في عزلة عن هذا العالم، مطروحة في صحراء الجهل والنسيان من الأمم المتقدمة التي تتقدم في هذه الحياة بسرعة لم يسبق لها مثيل».

- وإذا تأملنا في المواد الدراسية التي اختارتها الجمعية فسوف ندرك الامام الفكري والعلمي لهذه المواد، و هذا ما يؤكد من جديد ابن باديس بقوله « احذر كل متعلم يزهك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة، وخدم علماء الإسلام بالتحسين والاستنباط ما عُرف منها في عهد مدينتهم الشرقية والغربية حتى اعترف بأستاذيتهم علماء أوروبا اليوم»¹. قول فصيح وصریح بضرورة الانفتاح على الحضارات الاخرى والاقتباس منها ومن هنا يبدو مخالفة ابن باديس للكثير من المذاهب السلفية الجامدة التي ركزت على العلوم النقلية وانغلقت على نفسها انغلاقا سلبيا.

يمكن القول في النهاية أن منهج عبد الحميد ابن باديس ينطلق من فكرة الاهداف كآلية تربوية نظرية ، لكنه يعطي لهذه الاهداف أبعادا واقعية نفعية وهو ما راده جون ديوي من تأسيسه لنظرية المقاربة بالكفاءات وهذا انما يقودنا الى القول بأن النهج التربوي عند جمعية العلماء المسلمين لم تتخطى فكرة التدريس بالأهداف كما لم تتجاهل طريقة المقاربة بالكفاءات وهذا ما سنأتي على تبينه فيما تبقى من هذا الكتاب

¹- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص: 42.

سادسا/ السياق التاريخي والعلمي للمقاربة بالكفاءات:

1- السياق التاريخي للمقاربة بالكفاءات:

لقد استمدت المقاربة بالكفاءات أسسها من المذهب البراغماتي، الذي مثله كل من ويليام جيمس (William James)* وجون ديوي (John Dowi)**، وهي تعني باليونانية برجماتوس (Pragmatos) وبالفرنسية (Pragmatique) بمعنى الفعل أو العمل، وأساس هذه النظرية هو الابتعاد عن الفلسفات المثالية المغرقة في الخيالات وعلى المثل الذي لا يمد إلى الواقع بصلة وجاءت البراغماتية لتحقيق المنفعة، والمعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا العملية وفي هذا يقول وليام جيمس: ((لأن الفكرة الصحيحة ههنا نافعة، لأن المقام أو المأوى والذي هو هدفها موضوعها، نافع. ومن ثم فإن القيمة العملية للأفكار الصحيحة، تشتق من الأهمية العملية لموضوعاتها بالنسبة لنا))¹.

ويمكن القول بأن الفلسفة البراغماتية تقوم على عدة نقاط هي:

* - ويليام جيمس (William James) (1842-1910): فيلسوف أمريكي، من مؤسسي المذهب البراغماتي أو الذرائعي، من مؤلفاته: "مبادئ علم النفس"، والبراغماتية".

** - وجون ديوي (John Dowi) (1859-1965): مربّي وفيلسوف وعالم نفس أمريكي، زعيم من زعماء البرغماتية، مؤلفاته: "كيف نفكر وكيف نحل المشاكل".

¹ - وليام جيمس: البراغماتية، ترجمة محمود علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص239-241.

من المستحيل على الإنسان أن يصل إلى حقيقة تتغير إلا في حدود العالم الذي نعيش فيه، هذا بالإضافة إلى عدم وجود أي دليل على وجود مثل هذه الحقائق الثابتة، بل إن التاريخ مليء بالأمثلة على الكثير من الحقائق التي كان يعتقد أنها ثابتة ثم تغيرت.

وكل شيء في هذا العالم في حالة تغير مستمر لا شيء يبقى ثابتاً، والعالم في حالة توسع واتساع، ومن الظاهر أنه في حالة خلق مستمر، وعالم الأفكار الذي نعرفه هو عالم يحتوي على رموز، أحرف، كلمات، معادلات رياضية. هذه كلها لا معنى لها منفردة بل إنها تكتسب معناها من خلال الأشياء التي نرسم لها في الواقع، ولكي نختبر أي فكرة علينا أن نضعها في بوتقة التجربة.

والطريقة السليمة هي أسلم وأفضل طريقة لاختبار الأفكار، فعندما نترجم الفكرة في صورة فروض ثم نختبر هذه الفروض في بوتقة التجربة، فالنتائج هو أقرب ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من معرفة سابقة. و الجوانب الاجتماعية من الحياة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للفرد، إذ أن الإنسان بمفرده ضعيف وتطوره يكون محدوداً بدون العلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

كما أثرت الحركة التجريبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر التي أسهم فيها فلاسفة أمثال فرنسيس بيكون (Francis Bichon) * ، وجون ستيوارت

* - فرنسيس بيكون (Francis Bichon) (1561-1626): فيلسوف انجليزي اشتهر بدوره المحوري في الثورة على الكنيسة.

ميل (John Stewart Mill) ** في أن تتقبل البرغماتية التجريب كأحد الأسس الذي نادى بها لأجل فهم الكون والإنسان، بل رأت الطريقة العملية أو المنهج العملي هو المنطق الذي يمكن قبوله، لذا ينبغي أن تكون كل معرفة نابعة من الخبرة، وقائمة على الخبرة التجريبية، فالمنطق كما رآه قدماء الفلاسفة من اتساق الفكر مع نفسه ومع قوانينه الصورية المستقلة مع العالم لم يصبح مقبول لدى البرجماتية، وذهب ديوي إلى أن مراحل التفكير مطبقا للمنهج العملي على الاجتماع والسياسة والأخلاق وهي ميادين لم يسبق أن تعرض لها السابقون عليه، وقد لخص "ديوي" مراحل التفكير العملي أو ما يسمى بأسلوب حل المشكلات في الخطوات التالية:

أ- **الشعور بالمشكلة:** على الفرد أن يعي قبل كل شيء وجود مشكلة تواجهه، وهذه قد تكون تهديد للسكون أو التوازن الذي يعيش فيه وهذا ما أسماه ديوي "الشعور بالحاجة".

ب- **المشكلة أو توضيح المشكلة:** وفي هذه المرحلة تحدد ماهية المشكلة بالضبط والعوامل المتصلة بها، وفي هذه المرحلة أيضا يبدأ الفرد في جمع المعلومات وتنظيمها كخطوة للوصول إلى العلاقات التي بينها.

** - جون ستيوارت ميل (John Stewart Mill) (1806-1873): فيلسوف انجليزي اهتم بالمسائل العاطفية والأخلاقية والسياسية.

ج- فرض الفروض أو الوصول إلى فروض: وهي مرحلة تكوين احتمالات افتراضية لحل المشكلة، بناء على إدراك الفرد للمشكلة والمعلومات التي جمعها وفي هذه الخطوة يعتمد على ذكاء وخبرة ومرونة وابتكاره الفرد.

د- اتجار الفروض: فإذا نجح الفرد في اختيار فرض معين عليه انجازه بالطرق والأساليب العملية للتأكد من صحته وهذا يتضمن إحصائيات وقياسات ومشاهدات دقيقة

هـ- الوصول إلى نتائج أو صنع حكم عام: وهي مرحلة صياغة الحل الذي توصل إليه بوصفه حكم عام أو نتائج¹.

2- السياق العلمي للمقاربة بالكفاءات: يمكن إرجاع السياق العلمي للمقاربة بالكفاءات إلى ثلاث أسس هي:

أ- الأساس البيداغوجي: من خلال تفعيل المواد التعليمية في المدرسة والحياة الاجتماعية، والطموح إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة علمية، والتحقيق من محتويات المواد الدراسية وذلك يجعل المتعلمين يتعلمون بأنفسهم حسن التوجيه.

ب- الأساس الحضاري: تعقد الوضعيات فرض على الإنسان ضرورة تعدد حقل المعرفة الإنسانية وتنوعها بدل منطق وحدانية المادة، إلى الحياة من منظور علمي.

¹ - شبل بدران: الأصول الفلسفية للتربية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2001، ص308-

ج- الأساس الاقتصادي: طلب تنافس والمردودية الذي فرضته الشركات والمصانع وضغوط الشركات لتعجيل مشروع المقاربة بالكفاءات في بناء المناهج التربوية¹.

3/دوافع الإصلاح التربوي بالجزائر:

يمكن حصر دوافع الإصلاح فيما يلي:

- تنافس المعلمين على تلقين أكبر قدر ممكن من المعارف للتلاميذ، باعتبار أن هذا هو المعيار للدرس الجيد.

- قياس تحصيل التلاميذ بما يمتلكونه من معارف دون استثمارها.

- رؤية الأسرة الخاطئة بأن تفوق أبنائهم يتوقف على ما يمتلكه من معرفة وليس إنتاجها من خلال هذا وجب التركيز على التربية المستقبلية، ومسايرة التفكير العلمي وأن تكون المناهج مستوحات من دوافع المدرسة الجزائرية، تلك التي يحملها المجتمع نفسه فالأمر يتعلق قبل كل شيء بعودة المدرسة إلى التركيز على مهامها الطبيعية، والمتمثلة في التعليم والتنشئة الاجتماعية والتأهيل، ويتعلق الأمر بعدئذ بتحضير المنظومة التربوية في نفس الوقت لمواجهة التحديات المرتبطة بالعصرنة، واستكمال ديمقراطية التعليم وبلوغ النوعية لفائدة أكبر عدد ممكن من المتعلمين، ثم التحكم في العلوم التكنولوجية كما ينبغي في الأخير

¹ - سلمان إبراهيم، حسن ربيعة: اتجاهات المعلمين نحو ممارسة بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، مذكرة تخرج ليسانس في علوم التربية، الأغواط، (2006-2007)، ص31،32.

التكفل بالمتطلبات الجديدة التي أفرزتها التغيرات المؤسساتية والاقتصادية والاجتماعية والقافية، التي حدثت في الجزائر خلال الفترات الأخيرة، ومن هذا المنطلق بات من الضرورة على المدرسة تعليم المتعلمين الثقافة الديمقراطية وروح التسامح والحوار ورفع تحديات خارجية التي تتمثل في عوامة الاقتصاد وذلك من خلال التأهيل الجيد للإطارات من خلال تعديل طرق التعليم¹.

4/الخلقية العلمية لبيداغوجيا الكفاءات:

يجب ان نشير هنا الى أن طريقة المقاربة بالكفاءات جاءت كثمرة لطريقة التدريس بالأهداف، ذلك أن طريقة التدريس بالكفاءات جاءت بعد التطور الملحوظ الذي أحدثته طريقة الأهداف واصبحت الأسرة أكثر ثقافة فجاءت هذه الطريقة لترتقي بالإنسان أكثر ومن بين أسباب الانتقال اليها نذكر :

- كون الانفجار المعرفي يحول دون امكانية ادراج كل معارف مجال علمي ما او المطلوبة منها في المناهج الدراسية ، لذا يجب منح القدرة للمتعلمين على التعلم بسرعة و بفعالية مع الاعتماد على القدرات الذاتية

- ضرورة اقحام المتعلمين في وضعيات من الواقع المعيش و قد تكون من الممارسات المهنية التي يطمحون اليها مستقبلا

¹ - محمد شايب: دليل منهجي في التقويم التربوي، الديوان الوطني للمطبوعات ،الجزائر ، 2010، ص34.

- ابعاد المتعلمين عن حالة الاستقبال السلبية للمعارف النظرية ووجوب تحويلها الى آلية لحل المشكلات.

إن الأساس العلمي الذي نشأت منه هذه البيداغوجيا هو النزعة البنائية والتي ظهرت كرد فعل المدرسة السلوكية التي تحصر التعلم في مبدأ "مثير- استجابة" يرى بياجيه (John Piaget)* أن المبدأ مثير - استجابة كما يتصور المنظور السلوكي، يجب أن يعاد فيه النظر ذلك لسببين أولهما وجود نشاط عصبي مستقل عن كل استثارة خارجية، إذ ليس من الضروري أن يكون هناك مؤثر ليحدث نشاطا عصبيا، وثانيهما هو أن المؤثر لا يكون فعالا إلا إذا كان هناك استعداد في الجسم أو لدى الذات، فالعلاقة بين المؤثر والاستجابة متبادلة مادامت الذات صلة الوصل بينهما ويمكن توضيح هذه العلاقة على الشكل التالي:

النموذج السلوكي: مؤثر ← استجابة

النموذج البنائي: مؤثر ← الذات ← استجابة

إذ المنظور البنائي ينطلق من أن حصول التأثير المؤثر يستلزم وجود قابلية في الجسم و الذات فالاستجابة لا تحدث إلا انطلاقا من امكانيات واستعدادات الفرد، وعليه فعملية التأثير والاستجابة هي عملية متطورة ومستمرة طول الحياة

* - جون بياجيه (John Piaget) (1896-1980م): عالم نفس وفيلسوف سويسري، طور نظرية التطور المعرفي، مؤلفاته "اللغة و الفكر عند الطفل".

تبعاً لتغيرات بنيات الجسم وقدراته واستعداداته طبقاً لتغيرات الظروف المحيطة
وعليه يمكن استخلاص ما يلي:

-البنائية صفة تطلق على كل النظريات والتطورات التي تنطلق في تفسيرها
للتعلم من مبدأ التفاعل بين الذات والمحيط، من خلال العلاقة التبادلية بين
الذات العارفة وموضوع المعرفة، وتنطلق هذه النزعة من مجموعة من المسلمات
والفرضيات منها:

- الذات ليست سلبية في التفاعل مع المحيط، فهي تخضع ما تتلقاه لعمليات
فهم تأويل وإدراك وتعديل بنيتها للتلاؤم مع محيطها.

- كل تعلم جديد يعتمد على بنيات معرفية مشكلة من بنيات محتويات
ومفاهيم مكتبة سابقاً وعليه فإن للنموذج البنائي بيداغوجية الكفاءات قواعد
يختلف فيها عن سابقه من حيث:

/منطقة: التعلم و المعرفة تعد وسيلة لتنمية قدرات.

/مدخله: عن طريق القدرات ←الكفاءات

/مخططة: المتعلم هو محور العملية التربوية، فهو الذي يبني المعرفة اعتماداً على ما
لديه من المكتسبات. وأما المعلم فهو يلعب دور المسهل والوسيط بين المعرفة
والمتعلم.

/تقويمه: ((لا يكتفي بالمنتوج السلوك المتحصل عليه، بل يهتم بالعمليات الذهنية التي يوظفها المتعلم للحصول على ذلك السلوك المنتوج))¹.

5/ تعريف المقاربة بالكفاءات وشروط صياغتها:

أ- تعريف الكفاءة:

- لغة: ورد في لسان العرب: كافأ على شيء مكافأة وكفاء: جازاه، والكفاء: النظر وكذلك الكفاء والمصدر الكفاءة، ويقول له بالسعر وهو الأصل: أي لا نظير له وكفاء النظر والمساواة.

- اصطلاحاً: هي مجموعة مدججة من المهارات الجسمية، الحسية والممارسات العقلية والمهارات الوجدانية.

* الكفاءة: هي حسن التصرف المعقد الناتج عن الاندماج، والتجديد والتنسيق الاستراتيجي لمجموعة من القدرات والمهارات في وضعية بسيطة أو معقدة².

* الكفاءة: هي نظام من المعارف المفاهيمية والجزائية المنظمة في مخططات عملية والتي يمكن داخل عائلة من الوضعيات من التعرف على مهمة مشكلة أي عمل في وضعية مشكلة وحلها لعملية ناجحة.

¹ - محمد الصالح حثروني: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص13، 14.

² - أوحيد علي: التدريس الفعال بواسطة الكفاءات، مطبعة الشهاب، 2007، باتنة، الجزائر، ص9.

* **الكفاءة:** هي قدرة الفرد على أن ينتقي بنفسه من سجل معارفه ومهاراته ما هو مفيد وضروري منها لحل مشكلة معقدة أو فئة من مشكلات¹.

ب- تعريف بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات :

هي بيداغوجيا وظيفية تعمل على التحكم في مجريات الحياة، بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات وتعقيد في الظواهر الاجتماعية، ومن ثم فهي اختيار منهجي يمكن المتعلم من النجاح في هذه الحياة على صورتها وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة².

ج- شروط صياغة المقاربة بالكفاءات:

تتبع صياغة الكفاءة مرحلتين أساسيتين هما كالتالي:

- كتابة الكفاءة على شكل صياغة عامة للهدف، وفيما يلاحظ أن الكفاءة على قدر من العمومية بحيث يتضمن عددا من السلوكات الخاصة.
- كتابة الكفاءة على شكل صياغة سلوكية للأهداف الأدائية والأهداف المحددة.

- هي سلوكات ينبغي أن تظهر لدى الفرد كدليل على اكتسابه للمهارة التي حددتها الأهداف إلا أنه ينبغي أن تتوفر الشروط التالية في صياغة الكفاءة.

¹ - محمد شايب: دليل منهجي في التقويم التربوي، ص173، 174.

² - حاجي فريد: بيداغوجي التدريس بالكفاءات، الدار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص11.

- أن يمكن ملاحظتها أثناء قيام المتكونين بواجباتهم.
 - أن تكون واضحة الصياغة وبسيطة حيث تحتوي على كفاءة واحدة.
 - أن تصاغ على شكل أهداف سلوكية يمكن قياسها.
- وتتكون الكفاءات الجيدة من العناصر التالية:
- اسم المهارة أو القدرة المتمثل في الكفاءة: مثلاً الكفاءة الوظيفية التالية توجيه تجسيد القدرة أو المهارة التي سيليها المكون نتيجة تحصيله للكفاءة الوظيفية.
 - المحتوى المتمثل في الكفاءة: ((ويمكن في هذه الحالة من تحديد محتوى الكفاءة بأن يسأل "توجيه المكون لماذا؟" إن الإجابة تشير لمحتوى التوجيه هي بتطبيقه حل الأسئلة))¹.
 - معيار صحة تنفيذ الكفاءة: وحسب المثال نجد أن معيار مستوى توجيه الأسئلة يجب أن لا يتدنّى عن 90% لثبات صحت تنفيذ هذا المعيار.
 - شروط تنفيذ الكفاءة: وقد تتكون هذه الشروط في مثالنا الحالي كما يلي يجب أن يبدي المكون مهارة توجيه الأسئلة خلال خمس حصص تدريبية متتابعة في تخصصه كما يلي أن تتصف الصعوبة وتوزيعها العادل على المتكونين، في هذا الإطار يجب التنمية إلى أن معيار صحة التنفيذ الذي حدده

¹ - سلامات إبراهيم: اتجاهات المعلمين نحو ممارسة بيداغوجي المقاربة بالكفاءات، ص39.

الباحث "م" زيان" ب90 يعتبر كمثال فقط لأنه قد يكون معيار صحة "التنفيذ" أقل من ذلك بنيات تربوية أخرى¹.

6- أنواع تصنيف المقاربة بالكفاءات:

تشعبت تصنيفات الكفاءات وسنكتفي بالشائعة منها بالأخص تلك الواردة في منهاجنا نجد:

أ- الكفاءة القاعدية:

هي مجموع نواتج التعلم الأساسية المرتبطة بالوحدات التعليمية، التي توضح بدقة ما سيفعله المتعلم أو ما سيكون قادر على أدائه، أو القيام به في ظروف معينة وكلما تحكم فيها، تسنى له الدخول دون مشاكل في أنماط تعليمية جديدة، ولاحقة فهي الأساس الذي يبنى عليه التعلم.

ب- الكفاءة المرحلية:

هي مجموعة من الكفاءات القاعدية تسمح بتوضيح الأهداف الختامية لجعلها أكثر قابلية للتجسيد كأن يقرأ المتعلم جهرا ويراعي الأداء الجيد مع فهم ما يقرأ، وهي تتعلق بشهر أو فصل أو مجال معين.

¹ - سلامات إبراهيم: اتجاهات المعلمين نحو ممارسة بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ،ص39.

ج- الكفاءة الختامية:

تعد ختامية كونها تصف عملا كليا منتهيا وتتميز بطابع شامل وعام، وهي تعبر عن مفهوم إدماجي لمجموعة من الكفاءات المرحلية، يتم بناؤها وتنميتها خلال سنة دراسية أو طور، ففي نهاية الطور المتوسط، مثلا يقرأ المتعلم نصوصا ملائمة لمستواه ويتعامل معها¹. كما تستمد الكفاءات الختامية من نمط آخر من الكفاءات، ألا وهي الكفاءات المستعرضة التي هي كفاءات عامة جدا وتنطبق على عدة مواد للبحث عن المعلومة أو معالجة المعلومة، إنما تشكل معالم هامة بالنسبة إلى التعلّيمات، غير أنها قليلة الاستغلال في القسم نظرا لصعوبة تقييمها ولهذا نقيمها من خلال الكفاءات الختامية².

7- مبادئ و مميزات المقاربة الكفاءات:

إن نموذج التدريس بالكفاءات يقدم إسهامات كبيرة في ترقية العملية التربوية من حيث الأداء والمردود عن طريق جعل المعارف النظرية روافد مادية، تساعد المعلم بفاعلية في حياته المدرسية والعائلية، وتجعله مواطنا صالحا يستطيع توظيف مكتسباته من المعارف والمهارات والقيم المتنوعة في مختلف مواقف الحياة بكفاءة ومرونة.

ومن أجل ذلك يمكن حصر خصائص هذا النموذج في هذه العناصر:

¹ - حاجي فريد: بيداغوجي التدريس بالكفاءات، ص13.

² - بوبكر بن بوزيد: المقاربة بالكفاءات، الديوان الوطني، الجزائر، 2006، ص19.

- تفريد التعليم بتشجيع الاستقلالية والمبادرة لدى المتعلم، مع إيلاء عناية خاصة بالفروق الفردية بين المتعلمين¹.

- قياس الأداء بالاهتمام بتقويم الأداءات والسلوكيات، بدلا من المعارف الصرفية والنظرية.

- إعطاء حرية أوسع للمعلم في تنظيم أنشطة التعلم و تقويم الأداء.

- دمج المعلومات لتنمية الكفاءات، أو حل إشكاليات في وضعيات مختلفة.

- توظيف المعلومات وتحويلها لمواجهة مختلف مواقف الحياة، بكفاءة استغلال الموارد المكتسبة.

ويمكن القول أنه مهما كانت البيداغوجيات المتبعة في النظام التربوي، فإن الغايات والمرامي المراد الوصول إليها موحدة، وهي بناء وطن زاهر متكامل كما أراده الآباء والأجداد ويحلم به الأبناء والأحفاد، والإسهام في تطويره بالموصفات والدقة والفعالية المطلوبة من موقعهم الحساس، هذا الموقع إعداد النشأ وذلك بإحكام الخطط وتحديد الأهداف وتطوير الفعل التعليمي وبالاطلاع على مستجدات العلم والمعرفة في مجال التربية والتعليم لمواكبة التطورات العالمية في جميع المجالات.

¹ - محمد صالح: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، ص 12.

بناء على ما سبق يمكن القول بأن طريقة المقاربة بالكفاءات جاءت كانعكاس للتطور الاسرة، فأصبح المتعلم في هذه الطريقة مركز العملية التربوية بحكم انه يحمل معارف تؤهله للحوار والنقاش ، في حين كان مركز العملية التربوية في طريقة الاهداف هو المعلم، وذلك لافتقار التلميذ للمعلومة . فطريقة الاهداف كانت نظرية أكثر منها عملية في حين يطغى الطابع العملي على طريقة المقاربة بالكفاءات .

ويجب التنويه هنا أن عبد الحميد بن باديس مارس الطريقتين دفعة واحدة كما ذكرنا سابقا والغريب في الامر أنه مارسهما في ظل غياب كل الإمكانيات داخل الاسرة والمجتمع الجزائري فكان يعتمد طريقة الأهداف في بناء المنظومة المعرفية للتلميذ ثم بعد ذلك يشرع في المناقشة وتحريك العقل ومحاربة الجمود فيه، ولو تأملنا جيدا في الطرق التي ذكرناها سابقا عند جمعية العلماء المسلمين لوجدنا أن فلسفة المقاربة بالكفاءات أو التدريس بالأهداف لم تتعدى ما نادى به وممارسه علماء الجمعية وفي مقدمتهم ابن باديس واستطاع بهذه الطرق أن يفعل الشارع الجزائري ويحيي هويته فانتقل من التنظير الى الفعل ومن المعرفة إلى التأسيس الواقعي .

سابعا/الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين:

يعتبر التطبيق أهم المراحل التي تمر بها النظرية الفلسفية، وخاصة في مجال التربية والتعليم، لأن هذه العملية تستلزم التخلي عن مفهوم النظريات، والانتقال إلى مفهوم التطبيق وذلك من أجل نجاح العملية التربوية ومنه إخراج المنظومة التربوية إلى حيز التطبيق، لكي يكون لها أصول وأبعاد فلسفية واضحة، وهذا عن طريق تطابق النظري بالعملية.

لقد اشتملت جمعية العلماء المسلمين في أفكارها التربوية على أسس فلسفية، اعتمدت فيها على الإيمان بتكوين عقل الفرد إيماناً مطلقاً، حيث ترى أن الفرد أساس المجتمع الصالح، فعكف ابن باديس على الدروس على أساس الاتصال المباشر بتلاميذه وتكوين علاقات فردية، يستشف من خلالها روح الفرد، ويتمكن من التأثير فيه، والجدير بالذكر أن ابن باديس قد استمد فلسفته التربوية من طبيعة المجتمع الجزائري، الفكر الإسلامي ومنه أشار إلى أهمية التعليم والتربية الإسلامية، وبأهمية العقيدة في تكوين الفرد وبالتالي النهوض بالمجتمع لذلك قال: ((فإن القرآن الذي لا يكون رجال السلف يكثر عليه أن يكون رجالاً في الخلف لو أحسن فهمه وتدييره وحملت الأنفس على مناهجه))¹.

¹ - نقلاً عن محمد طهراوي: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 183.

ومن هنا يرى ابن باديس أن تربية التلاميذ وتوجيه نفوسهم إلى القرآن، والغاية من ذلك تكوين رجال كرجال السلف الصالح لأن صلاح المجتمع مرتبط بصلاح الفرد والعكس بالعكس، ولذلك ارتكز العمل التربوي الإصلاحى الباديسى على العقل من خلال هدم كل الأفكار التي دخلت على العقل الجزائري التي قد تجعله تابعا للحضارة الغربية، وعليه كان إصلاح ابن باديس بالنسبة للفرد إصلاح داخلي أي في جوهر الفرد ويمس جميع النواحي السياسية، الدينية، الاجتماعية، الثقافية.

إن التربية عند ابن باديس لا تقتصر على المدرسة وحدها نعم يولي الرجل للمدرسة والعلم أهمية كبرى ويقرر أن « العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال»، ولكنه يؤكد من جانب آخر أن « للجمعية نيات أخرى تنوي أن تقوم بها في المستقبل إنشاء الله، تنوي أن تبث البعثات العلمية إلى الخارج وتسعى جهدها في تحقيق ما ينص عليه قانونها الأساسى من تأسيس المصانع»

وفي هذا النص نلمح أن عبد الحميد بن باديس ينطلق من العامل النظري والمتعلق بالعلم ليصل الى الهدف النفعي المتعلق بممارسة التجارة والصناعة والفلاحة عن طريق العلم وليس العشوائية والتلقائية وكأنه يمهّد لمرحلة المجتمع العلمي الذي يتخلص من المصادفة و التقليد غير المؤسس عقلا نيا وهو لب مسعى وهدف طريقة المقاربة بالكفاءات.

ولكن إذا كان ابن باديس يجعل خدمة الإنسانية ومحبتها هدفاً ، وفي المقابل يجعل من غايات العملية التربوية إعداد الفرد الجزائري للحياة عقلياً واجتماعياً وأخلاقياً واقتصادياً ، وكذا النهوض بالوطن إلى مستوى التجمعات البشرية الراقية، والمحافظة على الشخصية الوطنية ، وإعداد جيل يأخذ للحياة سلاحها ويخوض الخطوب ولا يهيب ؛ فإنه في الحقيقة يجعل الأولوية والأولية للفتة الثانية من المرامي ، أي تلك الأهداف التي تخدم مجتمعة الوطن ، وهذا دون الانغلاق على الذات أو إنكار الهدف الإنساني العام ، إذ أن خدمة الوطن ومحبه تُعتبر خدمة ومحبة للإنسانية.

ذلك لأن تلك الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة ، فوجب التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة وإيصال هذا النفع مثلما يعلل ابن باديس تقديم الخصوصي المحدود على العالمي اللامحدود ، وبذلك فهو عندما قرر خدمة الوطن والإسلام الذاتي، وليس الإسلام الوراثي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير والمبني على الجمود والتقليد ، ويعتقد ابن باديس أن ضياع الأخلاق ناتج عن ضعف فهم الإسلام وضعف التربية داخل المجتمع، وهذا ما نلمسه تماماً عند جون ديوي إذ يقول "إذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك راجع إلى نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية"¹.

¹ عمر محمد التومي الشيباني : تطور النظريات و الافكار التربوية ط2، الدار العربية للكتاب . 1977، ص346

و ما ذهب إليه ابن باديس ذهب إليه أيضا حكيم الصين (كونفوشيوس) الذي أعطى للتربية الخلقية عن طريق التعليم مكانة رفيعة، وذلك لما قرر أنه إذا أردنا نشر خير الفضائل بين البشر؛ وجب فعل ذلك على مستوى الوطن أولا. وكذلك الفيلسوف الألماني كانط الذي نادى بالعالمية في كتابه (مشروع السلام الدائم) سنة 1595، وفيه قرر أن كل أمة في العالم لها الحق في تقرير المصير، وأنه لا يجوز لأية دولة أن تتدخل في نظام أو حكم دولة أخرى.

وما يمكنه استنتاجه أن ابن باديس يمتلك فعلا مشروعا تربويا متكاملا ذو ابعاد فلسفية انسانية وكونية، وهذا باعتراف فلاسفة الغرب والذين أوردنا بعض اعترافاتهم في كتابنا هذا، وإذا كنا عاجزين عن تحيين هذا المشروع التربوي فلا يُعقل أن نحكم على الأفكار خارج سياقها وإطارها التاريخي، إذ المفكر لا يخرج إلى الوجود كما تنبت الفطريات، وإنما هو نتاج عصره وعصارة مجتمعه.

وبين الفيلسوف الكندي أندري درليك -والذي ناقش اطروحة دكتوراه بكندا حول عبد الحميد ابن باديس - أن النظام التربوي عند جمعية العلماء يكتسي طابع فلسفي عقلائي يقول في ذلك ((إن اهتمامات ابن باديس امتدت من النواحي الدينية إلى الشؤون السياسية، ولمس تفكيره الأمور الاجتماعية، والثقافية، لقد عبر عن آرائه حول مسألة الحضارة للجزائريين وللبنشوية أجمع))¹.

¹ - نقلا عن الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد ابن باديس، ص 106.

إذن ابن باديس كانت له سياسة تربوية تقوم على تأهيل الفرد الجزائري وتكوين وتنمية قدرته العقلية والاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والخلقية وهذا بغية تكريس كل معاني الحرية والعدالة والإنسانية.

ولقد أشارت الجمعية إلى تطهير العقائد والأخلاق، من كل الشوائب والأفكار الفاسدة وهنا جعلت نخوض الأمة مرتبط بالتربية والوعي الفلسفي، التي أساسها تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أنها اهتمت كذلك بكل معاني الشخصية الجزائرية، والمحافظة على المقومات الوطنية وجعلها أساس للتربية، وإعداد جيل قادر على مواجهة الأخطار، وبهذا كان الإبراهيمي مع ابن باديس هو تابع العمل الإصلاحية بالنسبة لتجديد الجزائر، وكان هذا العمل في وقت واحد ومحدد من وجهة النظر الدينية، والسياسية، والقافية، وهما بذلك كما يقول روجيه غارودي ((روح ثورة ثقافية حقيقية في الجزائر، جعلت بالإمكان عام 1962 تحرير الشعب الجزائري من مائة عام من الضياع واستعادة هويته العربية الإسلامية))¹.

ومن التحليل السابق نستنتج أن جمعية العلماء المسلمين بنت أفكارها على أساس فلسفي طابقت فيه بين الجانب العقلي النظري والجانب الواقعي ومنه فلسفته نظرية عملية في آن واحد اعتمد فيه على عاملين الإسلام والوطنية وفي هذا يقول الفاضل بن عاشور ((تلقى الإمام عبد الحميد تعاليم

¹ - روجيه غارودي: الإسلام ، ترجمة وجيه أسعد، ط2، دار عطية للطباعة و النشر والتوزيع، 2001، ص93، 94.

الإسلام وتشرب روح العربية فكانت روحه الفلسفية متوجهة نحو تسليط تلك التعاليم وهاته الروح التي ما بين جنبيه وجني عموم الشعب (الجزائري)¹. كذلك كان عبد الحميد بن باديس ينصح معلمي الجمعية بالحوار والمناقشة عن طريق السؤال ، لأنه لا يريد للمتعلم أن يكون كآلة صماء تستقبل كل ما يملأ عليها دون سؤال أو تساؤل وهذا ما نلمسه في طريقة المقاربة بالكفاءات عند جون ديوي هذا الأخير يقول " من دون وجود سؤال ما أو شك ماثل في العقل يكون حدوث الانتباه مستحيلا...فاذا لم توجد قوة جاذبة أصلية في المادة فحينئذ إما أن يحاول المعلم حسب مزاجه و تدريبه و تقاليد المدرسة و توقعاتها أن يحيط المادة بمجاذبية خارجية، وذلك بأن يفرض أمرا ويقدم رشوة ليجعل الدرس شيقا للمحافظة على الانتباه أو أن يلجأ إلى التخويف كالتهديد بالرسوب "²

ويلاحظ ابن باديس أن المجتمعات تتباين بمقوماتها وبالتالي تتنوع ثقافتها بمعنى أنه لا وجود لثقافة إنسانية، وإنما هناك ثقافات إنسانية على حد تعبير الأنثروبولوجي الفرنسي (كلود ليفي ستراوس) وبما أننا نعترف بوجود ثقافات إنسانية، فإننا حتما سنعترف بوجود مجتمعات إنسانية ، إذ الشعوب تختلف » بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد، ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته

¹ - الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد ابن باديس، ص 110.

² - جون ديوي: المدرسة والمجتمع ،ترجمة احمد حسين عبدالرحيم دار مكتبة الحياة.

بيروت.1964.ص 145

ومميزاته كالشأن في الأفراد ، فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات. وهذه المقومات والمميزات هي اللغة ... والعقيدة ... والذكريات التاريخية ... والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات»¹. مثلما يقرر ابن باديس.

بناء على ذلك يتضح أن المشروع التربوي الباديسي يولي أهمية كبرى لدراسة العقيدة واللغة والتاريخ ، مع التفتح على اللغات الأخرى والعلوم والصنائع وكأن عمل الرجل من أجل المحافظة على الشخصية القومية التي كانت من أهم أهداف حركته التربوية ، ذلك لأنه لا يمكن للمجتمع أن يحافظ على بقائه الروحي المعنوي إلا عن طريق المحافظة على مقوماته وتراثه الثقافي، ولا يمكن أن يصنع مجده إلا بالتطلع إلى الحضارة والتفتح على ما وصلت إليه الحضارات الأخرى.

وهكذا يخلص إلى أن رأي ابن باديس يتجاوز دعاة الأصالة و يلتفت إلى المعاصرة، كما يتجاوز أصحاب الرؤية الحداثية والذين تجاوزوا الماضي، واضعا شروط الأخذ بالأمرين، مؤكدا على أن « ما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله ، فأخذ الأصول الثابتة من الماضي ، وأصلح شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل ، يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه

¹-آثار الإمام عبدالحميد بن باديس ، ج 4 ، ص17

مُعرضاً عما لا حاجة له به ، أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على
مقتضى ذوقه ومصلحته»¹.

و يعتقد ابن باديس أن الإسلام وفق منهجه التربوي يدعو إلى البحث عن
طريق العقل و التجديد، وهذا بتفسير القرآن وتطبيق وتنسيق كل ما هو نظري
بما هو عملي، والوطنية هي إعداد الفرد وتكوين عقله وشخصيته بما يخدم
المقومات الوطنية، وذلك للدفاع عن الشخصية الجزائرية، وبهذا تحققت كل
الأهداف والمرامي التربوية لجمعية العلماء المسلمين وذلك بمنطلق فلسفي
إسلامي وطني.

¹- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 3، ص 9.

ثامنا :الأبعاد الفلسفية لنظام الأهداف التربوية ولنظام المقاربة بالكفاءات
عند جمعية العلماء المسلمين :

1/ الابعاد الفلسفية لنظام الأهداف عند جمعية العلماء المسلمين :

تعود الأسس الفلسفية للأهداف التربوية إلى النظرية السلوكية وهذه الأخيرة
تقوم فلسفتها في التعلم هي أنه عبارة عن مثير ← استجابة ← خبرة.

وقد برهنت على هذا من خلال إتباعها الفلسفة الوضعية والتي تتبع المنهج
التجريبي وتكميم والقياس كموضوع للمعرفة، وقدمت السلوك كموضوع عملي
بأنه قابل للملاحظة والقياس.

فالوضعية التجريبية التي يقوم السلوكي والوضعية التعليمية التعليمية التي
يصممها المدرس المتبني لبيداغوجيا الأهداف يجعلان من المتعلم ذاتا منفعة
تتلقى المعارف، أو تكوين المهارات بفعل تأثير خارجي يتجلى في التأثير الذي
يصممه ويمارسه المدرس في وضعية تعليمية محددة، ومن هنا يبدو أن كل من
السلوكية وبيداغوجيا الأهداف تعتمدان على تصور محدد لعملية التعلم، مفاده
أن تعلم المعرفة يتم في إطار يجمع بين الذات والمحيط ويلعب المحيط الدور
الحاسم والأساسي في هذا التعلم فالذات تتلقى المعرفة من خلال تأثير المحيط
الخارجي دون أن يكون للذات في ذلك دور فعال.

إن هذه الفلسفة في تفسير عملية التعلم تؤكد على التأثير الخارجي بأنه أساس التعلم، فهي تغض النظر عن المواهب والاستعداد والوراثة ويتجلى ذلك في مقولة واطسون (Watson)* الشهيرة والتالية: ((أعطني ... من الأطفال السليمين وأعدك بأنني سأخذ منهم واحد بالصدفة وسأروضه لكي يصبح ممثلاً لأية مهنة اختارها: طبيباً، رجل قضاء، فناناً تاجراً، متسولاً، لصاً، إن هذا سيحدث بغض النظر عن مواهبه واستعداداته وعرق أجداده))¹.

في هذه مقولة لم يكتفي واطسون فقط بالإشارة إلى أن التعلم يأتي من خارج الذات، بل نجده يؤكد على ما هو أكثر من ذلك فقد صرح بشكل واضح بإمكانية قبول الفرد من طرف المحرب في مجال البحث السلوكي، إذا كان باحثاً وفي المجال التربوي إذا كان مدرساً، ولقد استطاع السلوكيون بالفعل أن يثبتوا فلسفتهم من خلال تجاربهم على الحيوان والإنسان بشكل علمي، ما تتضمنه هذه الفلسفة من صحة وصدق، ومن بينهم تجارب واطسون الشهيرة على الطفل ألبرت Albert، والتي استهدفت تعليم هذا الطفل الخوف من الفئران في مرحلة أولى، وعدم الخوف منها في المرحلة الثانية.

إن القول بأسبعية المحيط في عملية التعلم عند السلوكيين قول يتأسس على مبدأ ابستمولوجي قديم يعطي الأولوية والأهمية في عملية المعرفة للموضوع

* - واطسون (Watson)(1878-1858): سيكولوجي أمريكي مؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس.

¹ - نقلاً عن عبد الكريم غريب : درسنا اليوم، ص75، 76.

أو التجربة على حساب الذات العارفة "المتعلم"، وقد ارتبط هذا المبدأ بما يعرف في تأريخ المعرفة بالفلسفة التجريبية كما ذكرنا سابقا، والتي مثلها كل من جون لوك (John Locke)* ودافيد هيوم (David Hioum)**، في القرنين 17 و 18 والتي تعتمد على مبدأين أساسيين هما:

- تعتبر التجربة أساسا ومصدرا للمعرفة التي تتكون لدى الإنسان.
- إن عقل الإنسان عبارة عن صفحة بيضاء، تطبع عليها التجارب التي يواجهها الفرد في حياته.

وتعتبر طرق التدريس بالأهداف مجرد عملية تقوم على الحشو والاستظهار، ولا تعني إلا تلقين أكبر قدر من المعرفة لدى التلميذ، وهذا من خلال تجميع المعارف في ذاكرة التلميذ واسترجاعها وقت استدعى ذلك، أي إعادة تفرغ للتراكم المعرفي الذي مر في الخبرات السابقة عن طريق التلقين، والمتعلم الماهر هو الذي يمتلك القدرة الفائقة على امتلاك المعارف وليس إنتاجها.

ويبدو أن طريقة ابن باديس احتوت على هذا الأساس الفلسفي وما يؤكد ذلك هو قول البشير الابراهيمي واصفا طريقة عبد الحميد بن باديس في التدريس " علمت أن الرجل يعمل على ان يخرج من تلامذته رجالا وأنه

* - جون لوك (John Locke) (1632-1704): فيلسوف إنجليزي تجريبي حسي، له مقال يشرح فيه نظريته حول الوظائف التي يؤديها العقل.

** - دافيد هيوم (David Hioum) (1701-1776): فيلسوف ومؤرخ وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي.

يجري بهم على هذه الطرائق ليجمع لهم بين التربية والتعليم وكأنه يتعجل لهم الفوائد ويسابق بهم الزمن مادامت الامم قد سبقتنا بالزمن"¹ . يظهر من هذا النص أن ابن باديس كان يسعى الى بناء منظومة معرفية غزيرة لدى تلاميذه.

إن طريقة التدريس بالأهداف تعتمد على أسلوب التلقين كعملية فنية، والتي تحتاج إلى تقنية الاستظهار، وهذه الأخيرة تتطلب كمًا كبيرًا من المعارف، وبهذا المنظور التربوي يكون التلميذ خارج الحيز مهمته تنحصر في اكتساب المعارف واستظهارها أثناء الاختيارات والمناظرات.

وبهذا المنطق نجد أن دور العقل محدود بين الاستقبال والاستظهار، أي أن العملية الذهنية لا تهتم بالبحث عن المبادئ والقواعد التي تعتبر أساس المعرفة، والتي يحصل عليها التلميذ من ما يحيط به.

بعبارة أخرى، إن المعرفة يجب أن ترتبط بإنتاج التلميذ وليس بامتلاكه لها لكي تصبح بهذا الشكل غاية كبرى في المسار التعليمي، وهذا من خلال استنتاج التلميذ للحقائق ومعارف بنفسه عن طريق ما يلاحظه من حوله وهذا بواسطة كفاءة التي بفضلها نستطيع أن نتج ونتقي المعارف ((...وهكذا فإن المواضيع التقليدية قد بدأت تفقد قدسيتها ولم يعد الاهتمام ينصب على جمع الحقائق والمعارف وعلى حشوها في ذاكرة الطالب، بل أصبح الاهتمام

¹ - الزبير بن رحال : الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ، ص 28

ينصب على البحث عن المبادئ والقواعد الأساسية التي تعتبر محورا تتجمع فيه المعرفة التي يحصل عليها الطالب من حوله. لم يعد واضعوا البرامج يهتمون بالمواد الدراسية والفائدة المرجوة من دراستها، بل إنهم أصبحوا يضعون الأهداف المرغوبة أمام أنظارهم ويسوغونها في لغة الكفاءات ويقومون من ثمة باختيار مواد الأهداف¹.

ومن خلال هذا يتبين لنا أن بيداغوجيا الأهداف ليست لها أبعاد فلسفية كبيرة من الناحية التطبيقية لأن دور العقل يكاد ينحصر في حشو المعارف واستظهارها، وهذا ما يجعل دور العقل قاصر وبهذا يصبح التلميذ منحصرًا في زاوية بعيدة عن محيطه وعن اكتساب الكفاءات التي تجعل منه منتجا للمعارف. لذا لجأ ابن باديس الى جانب اعطاء المعلومة الى مناقشتها وحوارها مع تلاميذه ممهدا لدمج طريقة الاهداف بطريقة المقاربة بالكفاءات حتى يدخل الطابع الفلسفي الجدلي على الطابع التقليدي.

2/ الأبعاد الفلسفية لنظام المقاربة بالكفاءات والمنهج التربوي عند جمعية العلماء المسلمين:

لا يخفى على أحد من التربويين مدى الارتباط بين بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات والنظرية البنائية النفعية، والتي تركز فلسفتها على موضوع النمو العقلي والنضج، لدخول في التفاعل مع الأشياء أو الموضوعات الخارجية

¹ - وزارة التربية الوطنية: برنامج الفلسفة للسنة الثانية ثانوي شعبة آداب و فلسفة، 2007، ص04.

وفلسفة التعلم لهذه النظرية يكون بشكل مرمي بحيث أن عملية التعلم لا يمكن أن تحدث فعليا إلا إذا احترمت هذا الترتيب، بحيث لا يتم القفز إلى مرحلة دون المرور من مرحلة السابقة عنها وهي كما يلي:

يمارس المتعلم مجموعة من الأنشطة والأفعال على موضوع المعرفة في مرحلة أولى ثم يراقب عن طريق الملاحظة العملية التحولات التي طرأت على الموضوع وفي المرحلة الثانية يقول هذه التحولات استنادا على عمليات ذهنية معينة وإطارات نظرية محددة، ليصل في الأخير إلى بناء قانون، أو معرفة عملية بفضل التعميم، من خلال المراحل الأربع السابقة، يتضح لنا مدى الدور الأساسي والفعال للمتعلم في عملية التعلم أو بناء المعرفة وهو دور يتجلى أساسا في تفاعله مع الموضوع بشكل يجعله يمثل القطب الإيجابي في هذا التفاعل الذي يتسنى له ممارسة أفعاله وأنشطته الحركية والذهنية بغية توصله إلى بناء المفاهيم التي تتعلق بموضوع التعلم، بحيث يكون ممتلكا لمجموعة من المهارات والعمليات التي تمكنه من القيام بذلك النشاط الحركي أو الذهني، فكل تأثير على موضوع، ما هو إلا ممارسة أفعال محددة عليه إما بواسطة تجزئته، أو جمع أجزائه أو تقطيعها أو ترتيبها أو إبعاد أجزائه عن بعضها أو نقله، أو ضم أجزائه، بل لا بد وأن ترتبط بنوعية المفاهيم التي سيبنيها المتعلم في الدرس، وبنوعية العمليات الذهنية التي سيحتاج إليها في ذلك البناء، وانسجاما مع هذا المبدأ ستكون الخطوة الأولى في الدرس هي أولا التأكيد على مدى امتلاك التلميذ للعمليات الذهنية التي ستساعده في حل المشكلات، وبهذا يتبين لنا ارتباط

المقارنة بالكفاءات بالنظرية النفعية وفي هذا يقول وليام جيمس ((كلما أصبحت حقيقة من تلك الحقائق الإضافية، مرتبطة عمليا بمطلب ما أجل من مطالبنا أو بضرورة ملحة من ضروراتنا فإنها تنقل من مخزن التبريد حيث كانت قابعة لكي تؤدي عملا في العالم، ويزداد نشاط اعتقادنا بها))¹.

وعليه نستطيع القول أن المقارنة بالكفاءات هي تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية، وعلى هذا الأساس فإن العلاقة بين المقارنة بالكفاءات، والنظرية النفعية علاقه تكامل وترابط. فالمقارنة بالكفاءات نظام تربوي ذو أبعاد فلسفية من حيث تشجيعها للنقاش والحوار والجدل بغض النظر عن بحثها عن المنفعة كأولوية تربوية ، لكن المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين يعتبر تهذيب لفلسفة التربية البراغماتية فهو يأخذ بالجدل ومناقشة المعلومة عن وعي وتأمل وامعان نظر مع تنزيه المعرفة ودليل ذلك يظهر فيما يلي :

- نحن اليوم ، خلافا للتصور النسقي الكلاسيكي للفلسفة ، نعتبر أي خطاب حول مشكلة جزئية من مشاكل الحياة أو مسألة متخصصة من أبواب المعرفة قولاً فلسفياً، ونعد توما الإكويني وديكارت و كانط وجون ديوي وغيرهم فلاسفة رغم الأصول اللاهوتية الواضحة لبعض أفكارهم ، فحري بنا اعتبار الخطاب الباديسي قولاً فلسفياً لا يرى صاحبه ثمة تعارضا بين العقل والنقل ويحدد لكليهما مجاله وأفقّه .

¹ - وليام جيمس: البراغماتية، ص239-241.

- إن فالقانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين عندما يعتبر في مادته الثانية الإسلام هو دين البشرية التي لا تسعد إلا به، يبرر الأخذ بتلك المرجعية بالقول أن الإسلام « يمجّد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير»، وفي وصاياه إلى المسلم الجزائري يقول ابن باديس : « حافظ على عقلك فهو النور الإلهي الذي مُنحت له لتتهدي به إلى طريق السعادة في حياتك».

وهذه المقولة تتوافق تماماً مع مقولة ديكارت انا افكر فأنا موجود أو مقولة كانط كن جريئاً في استخدام عقلك.

- وخلافاً للأشاعرة حيث العقل لا يوجب تحسیناً أو تقييحاً، والحسن هو ما حسنه الشرع والقبیح على قیاسه ، يرى ابن باديس أن العقل هو الحكم الفصل في معرفة الحسن والقبیح ، و« أن ما أمرهم الله به هو الحسن المحبوب وأن ما نهاهم عنه هو القبیح المبعوض ، فعلموا من ذلك أن أوامر الشرع ونواهيها هي على مقتضى العقل الصحيح والفترة السليمة ، وأنه تعالى لا يأمر بقبیح ولا ينهى عن حسن»¹ ، وهذا موقف المعتزلة والقائلين بموضوعية القيم و مطلقيتها، ومن ثم عالميتها وثباتها كأفلاطون و كانط و جاكين روز .

وقد أشار روجي غارودي في كتابه الإسلام إلى أن منهج ابن باديس شبيه تماماً بمنهج المعتزلة، ويختلف كل الاختلاف عن مذهب السلفية الجامدة.

¹ - عبد الحميد بن باديس، مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط 1، 1982، ص: 143.

-وإذا كان الذين يتطلعون اليوم إلى محاربة رواد الفضاء بالعصي والسيوف ومجاجة آليات العوامة باختلاق قصص الخوارق ، ومواجهة مد الشعوذة بالتعاون كحال القبوريين أيام ابن باديس يرفضون الارتباط الضروري بين العلل والمعلولات ؛ فإن ابن باديس عند تفسيره قوله تعالى ﴿كَلَّا نَدَّ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء 20) يعتقد أن « أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء ، وأن من تمسك بسبب ، بلغ بإذن الله إلى مسببه سواء أكان برا أم فاجرا ، مؤمنا أو كافرا ...وهذا مُشاهد في تاريخ المسلمين قديما وحديثا فقد تقدموا حتى سادوا العالم ورفعوا علم المدنية الحق بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها ... وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب ».¹

ذلك جزء من قليل من فلسفة ابن باديس ، مما يسمح المقام بذكره ، وبين أن مجال التفلسف الباديسي هو عالم القيم حيث للرجل مواقف سياسية وتحليلات تربوية وتنظير أخلاقية، ولعله من نافلة القول التذكير بأن رأي الفيلسوف في القيم إنما هو تابع لنظريته في الوجود وطبيعة الإنسان ، ولابن باديس ثمة آراء هي بحاجة إلى البحث من المختصين في الفلسفة.

كما يدعو ابن باديس الى الحداثة يقول في وصيته للمسلم الجزائري: « كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي

¹ - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص 76

تمدنك ورقيك». ولنجعل نحن من هذا المقتبس مبدءا نعود إليه عند الخلاف في الحديث عن فكر ابن باديس , ومقدمة نستنبط منها ما يلي:

أ/ إن التربية عند ابن باديس لا تقتصر على المدرسة وحدها، نعم يولي الرجل للمدرسة والعلم أهمية كبرى ويقرر أن « العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال » ولكنه يؤكد من جانب آخر أن « للجمعية نيات أخرى تنوي أن تقوم بها في المستقبل إن شاء الله ، تنوي أن تبعث البعثات العلمية إلى الخارج وتسعى جهدها في تحقيق ما ينص عليه قانونها الأساسي من تأسيس المصانع»¹.

لقد ظهر التدريس بالكفاءات كمنهجية تربوية تعليمية شاملة، وهي نوع من التصور الوجودي للقضايا التربوية التي ينتهي بها الأمر إلى الإسرار على تكوين المواطن الصالح، الذي يجيد بكل كفاءة برمجة وجوده الاجتماعي، والتفوق على مشاكله، وإيجاد حلول وابتكار وضعيات جديدة بتجدد إشكاليات الحياة، وهذا ما يسمى تربويا وضعية المشكلة التي مفادها تشكيل أزمات حقيقية معرفيا لدى المتعلم من قبل المربي، في حين يطلب من هذا الأخير التأقلم معها وحلها، والنصوص السالفة الذكر كلها تدل على احتواء طريقة ابن باديس على منهج التدريس بالمقاربات كما تدل على الحاح ابن باديس على إحياء منهج الجدل والتفكير والمناقشة وهي كلها آليات فلسفية.

¹ - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص، 47.

إن المقاربة بالكفاءات لها أسس و أبعاد فلسفية و نفعية ، إذ تحاول أن توفق بين ما هو نظري وما هو عملي حتى تعطي الطريقة التربوية ثمارها، ولكن الملاحظ على الوضع التربوي في الجزائر يعاني من عدة مشاكل التي تحول إزاء تطبيق هذه المنهجية من التدريس للأسباب تخص المطبق أو المؤهل بالدرجة الأولى باعتباره حلقة من الحلقات الأساسية في النظام التربوي، والواقع أو المحيط بالدرجة الثانية باعتباره المحرك الأساسي في نجاح المنظومة التربوية.

فالنسبة للمؤطر يتضح لنا أنه يفتقد المواصفات أو المؤهلات التي تجعله يسوغ طريقة التدريس بالكفاءات من كونها نظرية إلى الطابع العملي، وهذا غياب الوعي الفلسفي لديه وعجزه على الإحاطة بكل أبعاد المقاربة بالكفاءات وجهله لجانبها الفلسفي، وهذا ما جعل هذه الطريقة تفقد قيمتها وهذا يقودنا إلى الفكرة القائلة "لا يوجد نظام ناجح أو فاشل وإنما يوجد مربٍ ناجح أو فاشل" فثقافة المؤطر ووعيه وتكوينه الفلسفي والبيداغوجي يجعله قادرا على مساهمة الأحداث والقضاء على مختلف المشاكل التي تعرقل المسار التربوي، ومنه نستنتج أن بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الجزائر تتضمن أسسا تربوية وتقنية وقيمة فلسفية ذات نزعة بنائية نفعية، ومنه تسعى إلى أن توقف بين جانبيها النظري والعملي، ومحاولة في ذلك تفعيل المواد الدراسية وتحويلها من المعرفة النظرية إلى الممارسة العملية، وذلك لكي تكون لها أسس فلسفية لأن هذه الأخيرة تتطلب مهارة عالية وإمكانيات لدى المعلم والمتعلم على حد سواء. وهذا ما نلمسه عند علماء الجمعية وفي مقدمتهم ابن

باديس والابراهيمى ، اذ كانا ينصحان المعلمين من أبناء الجمعية بضرورة التفنن في القاء المعلومة والحرص على تفعيلها واقعيًا من خلال صدق السلوك والانضباط في العمل والشواهد على ذلك كثيرة.

إن مجال التربية عند ابن باديس يتسع ليشمل شخصية الفرد ككل متكامل تبعًا لرأيه في طبيعة الإنسان كمحور للعملية التربوية ، والعملية التربوية تستغرق الطفل والمدرسة والمجتمع. وبالفعل فالتربية في فلسفة أعلام جمعية العلماء المسلمين من حيث هي أداة لنهضة الأمة ينبغي أن تعني بالفكر « هذه القوة التي كان بها الإنسان سيد العالم، وسيطر على عناصر المادة وأنواع الأحياء»¹

وتفطن ابن باديس الى خطورة وسائل الإعلام والصحافة باعتبارها وسيلة للتوعية، فأصدر جريدة المنتقد ، والشرعية ، والسنة ، والصراط ، والبصائر والشهاب. وأنشأ المدارس والمعاهد كالجامع الأخضر ، ومدرسة التربية والتعليم ومعهد ابن باديس في قسنطينة ، ودار الحديث في تلمسان. وقام بالوعظ والإرشاد بقصد الاتصال مباشرة مع الجماهير.

¹ - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص، 47.

كما نلمس في الفلسفة التربوية عند ابن باديس التفتح على افكار الآخرين من خلال دعوته الى التفتح على اللغات يقول في ذلك « إن الذي يحمل علم المدنية العصرية اليوم هو أوروبا ، فضروري لكل أمة تريد أن تستثمر تلك العقول الناضجة وتكتنه دخائل الأحوال الجارية ، أن تكون عالمة بلغات أوروبا وكل أمة جهلت جميع اللغات الغربية ، فإنها تبقى في عزلة عن هذا العالم مطروحة في صحراء الجهل والنسيان من الأمم المتقدمة التي تتقدم في هذه الحياة بسرعة لم يسبق لها مثيل»¹.

العلم عند جمعية العلماء المسلمين لا ينحصر فيما هو شرعي ، وليس أدل وأبلغ في التعبير عن هذه الدلالة من قوله موصيا المسلم الجزائري: « احذر كل متعلم يزهلك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة ، وخدم علماء الإسلام بالتحسين والاستنباط ما عُرف منها في عهد مدنيّتهم الشرقية والغربية حتى اعترف بأستاذيتهم علماء أوروبا اليوم»².

3/ فلسفة التربية عند ابن باديس بين الخصوصية والعالمية :

يلاحظ ابن باديس أن المجتمعات تتباين بمقوماتها ، وبالتالي تتنوع ثقافتها بمعنى أنه لا وجود لثقافة إنسانية، وإنما هناك ثقافات و مجتمعات إنسانية ، إذ

¹ - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص 52.

² - نفسه، ص 42.

الشعوب تختلف بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد، ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد.

بناء على ذلك يكون المشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين قد أولى أهمية كبرى لدراسة العقيدة واللغة والتاريخ ، وكان عملُ ابن باديس من أجل المحافظة على الشخصية القومية وهو من أهم أهداف حركته التربوية ، ذلك لأنه لا يمكن للمجتمع أن يحافظ عل بقاءه الروحي المعنوي إلا عن طريق المحافظة على مقوماته وتراثه الثقافي ، تماما مثلما يحافظ على بقاءه البيولوجي المادي بواسطة التناسل ويمكن حصر خصائص التربية ووظائفها وابعادها الفلسفية عند جمعية العلماء المسلمين في النقاط التالية :

أ-التربية والتفتح على الحضارات و الثقافات الأخرى :

لا تعني المحافظة على الشخصية القومية التمسك بالتراث القديم بحسناته وسيئاته بدعوى أنه أساس الأصالة، ولئن كان ابن باديس قد قام بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح، فإنه يقرر أن الثقافة الجديدة لا تنافي الإسلام الصحيح ، ولا تتعارض مع مقومات الجنسية القومية كما يسميها ، من هنا يدعو الإنسان إلى المحافظة على الحياة ، ولا حياة لك إلا بحياة القوم والوطن والدين واللغة وجميل العادات، وإذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة

والتعامل. هذا ما نادى اليه ابن باديس، كما يعتقد ابن باديس أن الحضارة الغربية هي ثقافة ومدنية وعلم وفكر ومادة وروح، وأن التعامل مع هذه الحضارة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الثنائية ليحسن طريقة التعامل معها والاستفادة منها دون الانصهار فيها وهذه هي المعاصرة الحققة.

وهكذا يخلص ابن باديس إلى رأي يتجاوز دعاة الأصالة دون الالتفات إلى المعاصرة وأصحاب الرؤية الحداثية على حساب الماضي، واضعا شروط الأخذ بالأمرين مؤكدا على أن ما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله ، فأخذ الأصول الثابتة من الماضي ، وأصلح شأنه في الحال ، ومد يده لبناء المستقبل ، يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه ، مُعرضا عما لا حاجة له به ، أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مُقتضى ذوقه ومصلحته¹.

ب- التربية و العالمية:

وكما أن قضية القديم أو الأصالة والحديث أو التقدمية والمفاضلة بينهما شغلت بال المفكرين ، يبدو أن قضية العولمة هي الأخرى قد قسمت الرأي منها إلى شطرين. وسواء أكانت هناك عولمة حسنة وأخرى سيئة، أم كانت كلها حسنة أو كلها سيئة ؛ فإننا نذهب إلى التمييز بين العولمة والعالمية وذلك على أساس أن الأولى ماهي إلا شكل بلغه تطور الاقتصاد الرأسمالي

¹ - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 3، ص: 9.

وهي هيمنة امريكية لا أكثر خاصة بعد التطور المثير للتقنيات الجديدة للإعلام والاتصال وعقب انهيار الاقتصاد الاشتراكي الموجه وسقوط جدار برلين. والحقيقة التي تظهر لنا اليوم إثر ما يُدعى ربيعاً عربياً هو أن العولمة إنما هي التقاء أفكار اقتصادية رأسمالية وديمقراطية وهمية ومفروضة علينا ، إذ أن مصير الدولة في ظل العولمة هو الزوال والاضمحلال أمام السلطة المطلقة للسوق. لذا ننبه الى أن ابن باديس يأخذ بفكرة العالمية المشار إليها، وليس بفكرة العالمية كمذهب من يقدمون حب الإنسانية على حب الوطن كالرواقين الذين يسمون أنفسهم مواطنين عالميين ففكرة ابن باديس شبيهة تماماً بفكرة الفارابي.

وبالفعل فهو يعلن أن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها والحدب عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها ، هو ما نقصد ونرمي إليه ، يقول ابن باديس " وإننا نحب الانسانية ونعبرها كلا، ونحب وطننا ونعبره جزء ونحب من يحب الانسانية و يخدمها و نبغض من يبغضها ويظلمها " ¹ . و يقال - رغم أنني لم احصل على هذه الوثائق ولم ارها شخصيا - أن ابن باديس كان يتعامل مع العديد من الجمعيات العالمية ويعطيهم رأيه في الكثير من مشاغلهم وهو بهذا يجعل من أهداف التربية فضلا عما تمت الإشارة إليه فيما يتعلق بما هو خصوصي وطني، خدمة للإنسانية ونشر محبتها بين مريديه وبين أفراد الإنسانية ، ويحث المسلم الجزائري على نبذ

¹ - آثار ابن باديس، ج5، ص 172

التعصب الجنسي الممقوت ، والحذر من التعصب ويوصي بالإحسان والأخوة مع كل جنس من أجناس البشر ، وانتهاج سياسة الصدق والصراحة القائمة والإخلاص القائمة على الحب والعمل والتعاون.

ولكن إذا كان ابن باديس يجعل خدمة الإنسانية ومحبتها هدفا ، فهو في المقابل يجعل من غايات العملية التربوية إعداد الفرد الجزائري للحياة عقليا واجتماعيا وأخلاقيا واقتصاديا ، وكذا النهوض بالوطن إلى مستوى التجمعات البشرية الراقية، والمحافظة على الشخصية الوطنية ، وإعداد أجيال مثقفة ومفكرة لديها اقبال وإرادة جموحة على تغيير أوضاعها وصنع مجدها ؛ فإنه في الحقيقة يجعل الأولوية والأولية للفئة الثانية من المرامي ، أي تلك الأهداف التي تخدم مجتمعة الوطن ، وهذا دون الانغلاق على الذات أو إنكار الهدف الإنساني العام ، إذ أن خدمة الوطن ومحبه تُعتبر خدمة ومحبة للإنسانية.

وهذا لأن تلك الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة ، فوجب التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة وإيصال هذا النفع ، مثلما يعمل ابن باديس تقديم الخصوصي المحدود على العالمي اللامحدود ، وبذلك فهو عندما قرر خدمة الوطن والإسلام الذاتي، وليس الإسلام الوراثي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير والمبني على الجمود والتقليد ؛ فالأمر في خدمة الإسلام الذي يدعو إلى

الأخوة الإنسانية بين جميع البشر كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية ، ويسوي في الكرامة والحقوق بين جميع الأجناس والألوان ، خدمة غير مباشرة للإنسانية.

د- تصحيح وتفعيل العقائد:

من الأهداف التي ترتبط في إعداد الفرد تصحيح العقائد وتهذيب الأخلاق وتفعيلها واقعيًا ، لأن بناء العقيدة وتقويم السلوك الفردي ثم الاجتماعي بعدالة العملية التربوية وعليه يتوقف نجاح كل حركة تغيير وإصلاح.

إن إعداد الفرد وفق التصور الإسلامي يتطلب العناية بمختلف مكونات شخصية الإنسان على أن تكون نقطة البداية في هذا الإعداد هي بناء وجدان المتعلم بتزكية نفسه وتصحيح عقيدته وتقويم خلقه، لأن إصلاح الباطن هو الذي يقود إلى إصلاح الظاهر، وهو الأصل في كل إصلاح خلقي أو ديني أو اجتماعي فال تغيير ينطلق من الذات قبل كل شيء.

إن هذا الفكر عبارة عن توصية عامة وجهها ابن باديس وعلماء الجمعية إلى المربين، إنها توصية لا ترتبط فقط بهذا الموضوع بل هي توصية عامة تشمل كل الجوانب الحياتية التي يعيشها الجزائري والتي يجب أن يعد لها إعدادا كاملا يمكن فيه من معرفة الحقائق الشرعية ومقتضيات التطور الذي يفرض عليه أن يكون تعامله مع جوانب الحياة تعاملًا إيجابيًا يحرص فيه على التوفيق بين عقله ودينه تعاملًا لا يضحي فيه بقيمه ولا يتخلى عن مواكبة عصره.

ومن بين الأهداف التي يرى ابن باديس أنها متممة لتنشئة الفرد ومحققه لشخصيته، السعي لتحقيق الكمال على المستوى الفردي والجماعي، لأن إيصال الإنسان المتعلم إلى ما يصبو إليه ، وما يستطيعه من كمال إنساني في حياته غاية من غايات التربية وبعد من أبعادها ويوضح ابن باديس هذا البعد ويؤكد أن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية والمثال الكامل في ذلك هو حياة مُحمَّد ﷺ - في سيرته الطيبة.

إن تكوين الشخصية المتكاملة من أولويات التربية، فبناء شخصية الفرد وإعدادها إعدادا متكاملا يشمل الجوانب العقلية والوجدانية والجسمية والاجتماعية والخلقية، و هي أهم الأهداف التي كان ابن باديس يلح عليها ويدعوا إلى الاهتمام بها، لأن تكامل الشخصية وتوازن عناصرها أبرز صفات الكمال ولا يتحقق الكمال في نظر ابن باديس إلا إذا اهتمت التربية بتنمية فكر الإنسان وتربية وجدانه وتهذيب سلوكه وتقوية بدنه، والكمال المقصود هنا هو تكامل محاسن الشخصية ولا يعني به محاكاة الاله في كماله كما يدعو أبن باديس وغيره من علماء الجمعية الى تفعيل العقيدة بتفجير إرادة الانسان وعدم التواكل على قدرة الله فهناك فرق بين هذا وذاك.

هـ - تحقيق النهضة في الجزائر وتحريرها من قبضة الاستعمار :

تعد هذه الغاية محصلة الغايات والأهداف التي كانت الجمعية تسعى إلى تحقيقها، وتحقيق النهضة وفق المنظور الباديبي بالعمل على تقرير الانتماء إلى العروبة وإحياء مجد اللغة العربية الرمز المعبر عن هذه العروبة والرجوع إلى الإسلام في منابعه الصافية التي كان ينهل منها سلفنا ونشر العلم والمعرفة والتخلي بالأخلاق الفاضلة. يقول الشيخ الفاضل بن عاشور " إن فضل النهضة الجزائرية على العالم الإسلامي فضل عظيم وإن أثر الشيخ عبد الحميد بن باديس في تلك النهضة أثر انساني رئيسي"¹.

وقد حدد ابن باديس أركان هذه النهضة في محاور أربعة هي : العروبة والإسلام و العلم والفضيلة، مبينا أنها أركان النهضة وأركان جمعية العلماء التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فمازالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة العربية وتنيرنا بالعلم، وتحلينا بالأخلاق العالية، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا السامية وتربطنا بوطينتنا الإسلامية الصادقة، يريد ابن باديس فالنهضة يجب أن تبنى على هذه العناصر المذكورة دون نسيان الصرامة في العمل على تحقيق النهضة.

¹ -نقلا عن الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص110

4/ الفلسفة والتربية في مشروع جمعية العلماء المسلمين:

إن القول بوجود منابع فلسفية لمشروع ابن باديس التربوي ، يلزم عنه الزعم بأن لابن باديس فلسفة ، وهذا الذي نعتقده للمبررات التالية:

- وجود بنية تحتية معبئة بالمشكلات التي تستدعي إعمال الفكر وإيجاد الحلول فبعد سنوات من الاحتلال الفرنسي ألحقت الجزائر بفرنسا إثر صدور مرسوم 22 جويلية 1834 ، وأبعد الشعب الجزائري عن المشاركة في حكم بلاده وعرف تعداد السكان الجزائريين نقصا فادحا بفعل حروب الإبادة والأوبئة والمجاعات، وتدهورت أوضاعهم الاقتصادية بسبب مصادرة الأراضي وتفتت البطالة وتفتت الأسرة الجزائرية ، والأدهى من ذلك تخطيط الاستعمار الفرنسي لمحو الشخصية الجزائرية وإبادة الهوية بتجميد استعمال اللغة الوطنية وتشويه التاريخ الوطني ومحاولة اقتلاع الجزائر من واقع الانتماء الإسلامي العربي. لكن ابن باديس وعن طريق أعمال الفكر والرجوع الى تعاليم الاسلام الحية ابطل هذا المشروع رفقة علماء الجمعية يقول جوان جيلسبي " أكد ابن باديس أن الاسلام دين الله ويجب بالأولى ان يكون دين الإنسانية إنه يشرف العقل ويمجده"¹. ومنه يمكن القول أن الفلسفة التي ننسبها إلى ابن باديس تمثل البنية الفوقية التي فرضها ذلك الواقع ، والمشروع التربوي الباديسي المؤسس عليه يستوحي أهدافه ومرامييه من حاجات الناس الراهنة ، ولهذا فهو يتطلع إلى

¹جوان جيلسبي : ثورة الجزائر ، ص 64

المحافظة على الشخصية الجزائرية بأبعادها: الإسلام ، العروبة ، الامازيغية . كما أن ابن باديس انتهج طريقة فلسفية ذكية من بين آلياتها تكوين المرأة باعتبارها مدرسة أولى ودون أن تشعر فرنسا بذلك فطريقته كانت مستترة يقول محمود قاسم " و لقد وضع ابن باديس خطته على أساس مبتكر يتلخص في أن يحاصر فرنسا في رفق وعزم صارم، في الوقت الذي تظن هي فيه أنها تحاصر الجزائر . ولم تفتن فرنسا إلى مهارة هذه الخطوة إلا بعد فوات الوقت فوجدت نفسها محاصرة ، بعد أن نحى ابن باديس أعوانها طائفة بعد الاخرى"¹. وهكذا قاومت الجمعية حركات التبشير وسياسة التنصير، وتحرير الفكر من البدع والخرافات ، والنهوض بالجزائر إلى مصاف الشعوب الراقية ومقاومة سياسة الإدماج والتجنيس ، والمحافظة على الوحدة القومية للشعب الجزائري كما يصرح صاحبه بوضوح. يقول اندري درليك " لقد كانت نتائج جهود ابن باديس أن احتفظت الجزائر بشخصيتها الإسلامية العربية في حين كانت أهداف فرنسا الصريحة بأن تحطم هذه الشخصية"². يتضح الجانب العبقري عند ابن باديس من خلال هذه الاعترافات وإلا كيف نفسر قدرة الرجل على احباط مشروع دولة عظمى كالدولة الفرنسية عبقرية جسدها الجهود التي بذلت من طرفه لإنقاذ الجزائريين من التخلف وتحريرهم من هيمنة الاستعمار الفرنسي

¹ - محمود قاسم : الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، دار المعارف ، مصر ، دت ، ص15

² - نقلا عن الزبير بن رحال : الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ص106

خاتمة:

يمكن القول في النهاية أن طريقة ابن باديس ليست أقل شأنًا من طريقة جون ديوي باعتراف مفكري الغرب أنفسهم ، وهذا ما بيناه في كتابنا هذا لكن العجز أصاب العقل الجزائري بعد الاستقلال فلم يتمكن هذا العقل من هيكلة منهج تربوي جزائري سليل للنظام التربوي عند هذه الجمعية طبعا دون تجاهل عملية التجديد و بعبارة أوضح تحين منهج ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين كان واجب من واجبات العقل الفلسفي الجزائري لكن العقل تخلى عن هذا الواجب ، وهذا يعود ايضا الى هشاشة السياسة التربوية التي تعتمد فقط على استيراد المناهج الغربية الجاهزة دون تكييف أو إعادة نظر .

إن النظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين يتميز بالتوفيق بين الجانبين النظري والعملي، وارتبط بالعقل ارتباطا واضحا وجعل تكوين الفرد أحد أهم محاوره وكان يؤمن بأن صلاح المجتمع بصلاح الفرد، وبهذا قام بخدم كل الأفكار الدخيلة على العقل الجزائري، فسعى إلى تحقيق كل الأهداف التربوية التي كان يطمح إلى الوصول إليها، بمنطلق فلسفي يدعو إلى الإسلام والوطنية نظريا وعمليا مع التفتح على الحضارات الأخرى.

و للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين كان له أبعاد فلسفية في جانبها النظري والتطبيقي، من خلال احياء حركة الوعي و بعث الهوية والمناداة بالثبات على الهوية والتطلع إلى ما وصلت إليه الثقافات الأخرى.

ومن خلال هذا التحليل الذي جاء في الكتاب يتبين لنا أن النظام التربوي في الجزائر مر بمراحل وتقنيات عرفت فيها تطورات هائلة، تبعا للتطورات المتسارعة في المستويات العلمية والفنية والتكنولوجية، لذلك لا يأخذنا العجب حين نستبدل طريقة للتدريس ألفناها وعملنا بها أمدا طويلا بطريقة أخرى توصلت إليها الأبحاث والدراسات وأثبتت نجاعتها وجدارتها وفوائدها، وهذا التطور يلائم طبيعة الحقائق والأشياء والمستجدات التي لا تعرف الاستقرار والثبات وإنما العجب يكمن في عدم قدرتنا على استنباط نظريات تربوية معاصرة من مفكرين جزائريين شهد لهم العدو قبل الصديق بقوة فلسفتهم التربوية.

وكان مسعى جمعية العلماء من وراء منهجها التربوي تجاوز النظرة التي تحصر أهداف التعليم في الاستجابة للحاجات الآنية إلى النظرة التي تقدم من تفكير في لإيجاد قاعدة بشرية متينة، وتكوين جيل قادر على تغيير الواقع المتدهور والانطلاق نحو المستقبل ليتمكن للأمة أن تستعيد دورها و تنبؤ مكائنها بين الأمم الراقية. و لم يقتصر المنهج التربوي عند الجمعية في التركيز على حق المسلمين في تعلم دينهم ولغتهم، ووجوب تعليمهما، بل يهتم على وجه الخصوص بالعلوم العصرية التي انصرف عنها المسلمون في القرون المتأخرة و هذا لا يتنافى مع ما يدعو إليه القرآن.

ولاشك في الدعوة إلى فهم القرآن فهما صحيحا عن طريق ربط الفروع بالأصول هو تأكيد على وجوب اعتماد المسلمين في نهضتهم أصول الإسلام

كما أن دعوته إلى تعلم اللغات الأجنبية والعناية بالعلوم العصرية هي دعوة إلى التسلح بالعلم الحديث الذي سادت به أوروبا. فمق يتأمل العقل الجزائري في نفسه ويكف عن إلقاء اللوم على غيره واتهامه بأنهم تقليديون وأنهم بعيدون كل البعد عن دائرة الفلسفة ؟ أقصد بذلك الاتهامات الموجهة لجمعية العلماء المسلمين من طرف بعض العقول الجزائرية وهي اتهامات صنعها جهلهم بعمق الفكر التربوي لجمعية العلماء المسلمين وعدم التعمق في دراسة هذا الفكر.

ومما سبق يتأكد أن ابن باديس كانت له نظرة متطورة في مجال التربية، نظرة يمزج فيها بين الحقائق العلمية الموروثة، و بين الاتجاهات العلمية المعاصرة.

الفهرس

مقدمة.....	ص9
أولاً: ميلاد الجمعية و أهدافها.....	ص11
1- الدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين	ص11
2- أول اجتماع لرواد الإصلاح	ص13
3- تأسيس جمعية العلماء المسلمين	ص14
4- اعضاء الجمعية.....	ص18
5- الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأت وظهور الجمعية.....	ص21
ثانيا/ أصول ومبادئ جمعية العلماء المسلمين	ص25
1- التربية وملائمة روح العصر.....	ص25
2- تطور نشاط جمعية العلماء المسامين الجزائريين	ص34
أ-المرحلة الأولى (1931-1939م).....	ص35
ب-المرحلة الثانية (1939-1944م).....	ص38
ج- المرحلة الثالثة (1944-1956م).....	ص39
ثالثا / الفلسفة التربوية عند جمعية علماء المسلمين	ص41
1- الفكر التربوي عند ابن باديس	ص41
أ-تعريف التربية.....	ص41
ت-التعليم	ص41
2- علاقة التربية بالتعليم	ص42

- 3- المنهج التربوي عند بن باديس ص 47
- أ- التعليم و وظيفته ص 50
- ب- التربية مطلب وحق إنساني ص 52
- رابعاً/ جمعية العلماء المسلمين و طرق التربية المعاصرة..... ص 57
- 1- طريقة التدريس بالأهداف التربوية..... ص 58
- أ- السياق التاريخي والعلمي للأهداف التربوية..... ص 58
- ب- الخلفية العلمية لبيداغوجيا الأهداف التربوية..... ص 60
- ج- الفرق بين التعليم بواسطة المضامين والتعليم بواسطة الأهداف ص 62
- د- التعليم بواسطة الأهداف ص 63
- 2- تعريف الأهداف التربوية وشروط صياغتها..... ص 64
- أ- تعريف الأهداف التربوية..... ص 64
- ب- تعريف بيداغوجيا الأهداف ص 66
- ت. شروط صياغة الأهداف التربوية..... ص 66
- 3- مستويات الأهداف التربوية و تصنيفها..... ص 68
- أ- الغايات ص 68
- ب- المرامي ص 68
- ج- الأهداف الخاصة..... ص 70
- د- الأهداف الإجرائية..... ص 70
- 4- مجالات الأهداف التربوية..... ص 71

ب- المجال النفسي الحركي	71ص
ث- المجال الوجداني العاطفي	74ص
5- مبادئ و مميزات التدريس بطريقة الأهداف التربوية	75ص
6- طرق وأساليب التقويم	76ص
أ- الفرق بين التقييم و التقويم	77ص
ب- أنواع التقويم	77ص
ج- أدوات التقويم	79ص
7- طريقة الأهداف في فضاء جمعية العلماء المسلمين	81ص
سادسا/ السياق التاريخي والعلمي للمقاربة بالكفاءات	85ص
1- السياق التاريخي للمقاربة الكفاءات	85ص
أ- الشعور بالمشكلة	87ص
ب- المشكلة أو توضيح المشكلة	87ص
ج- فرض الفروض أو الوصول إلى فروض	88ص
د- اتجار الفروض	88ص
هـ- الوصول إلى نتائج أو صنع حكم عام	88ص
2- السياق العلمي للمقاربة بالكفاءات	88ص
3- دوافع الإصلاح التربوي بالجزائر	89ص
4- الخلقية العلمية لبيداغوجيا الكفاءات	90ص
5- تعريف المقاربة بالكفاءات وشروط صياغتها	92ص

6- أنواع تصنيف المقاربة بالكفاءات	96ص
7- مبادئ و مميزات المقاربة الكفاءات	97ص
سابعا/ الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين	100ص
ثامنا : الأهداف التربوية ونظام المقاربة بالكفاءات عند جمعية العلماء المسلمين.....	108 ص
1- الابعاد الفلسفية لنظام الأهداف عند جمعية العلماء المسلمين.....	112ص
2-الأبعاد الفلسفية لنظام المقاربة بالكفاءات والمنهج التربوي عند جمعية العلماء المسلمين	112ص
3- فلسفة التربية عند ابن باديس بين الخصوصية والعالمية.....	121ص
أ-التربية والانفتاح على الحضارات و الثقافات الأخرى.....	121ص
ب-التربية العالمية.....	122ص
د- تصحيح وتفعيل العقائد.....	125ص
هـ- تحقيق النهضة في الجزائر وتحويرها من قبضة الاستعمار.....	127ص
4-الفلسفة والتربية في مشروع جمعية العلماء المسلمين	128ص
خاتمة.....	130ص